Koul Alarab
كل العرب
مجلة عربية شاملة تصدر من باريس

العدد رقم 94
السنة الثامنة
حزيران - يونيو Juin 2026
Prix 5 euros

الخليج بين التمدد الإيراني والمصالح الغربية

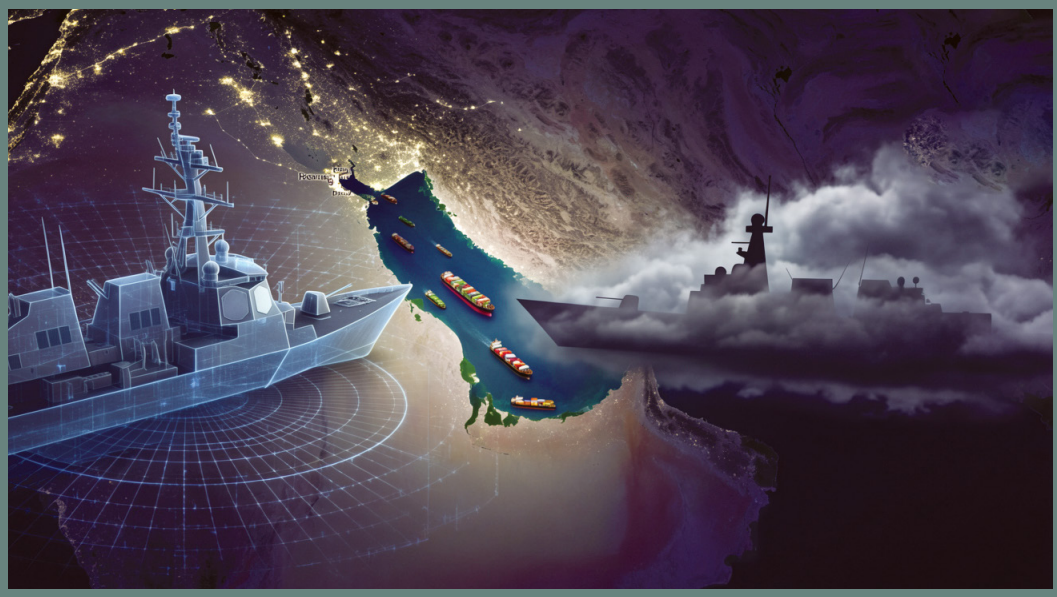

من توازن الردع الى توازن التعطيل

فتح تختتم مؤتمرها الثامن

احتفالية اليوم العالمي لحرية الصحافة

أوطاننا ومرضى الدجل الايراني

نظرية اللعبة ومخرجات الصراعات

الحرب على سلاسل التوريد

أسطول الصمود يعري «ديموقراطية» الاحتلال

لقاء الأحد في احتفالية طرابلس

الكاهنة «ديهيا» بين التاريخ والذاكرة

هل الذاكرة العربيّة ذاكرة ذكوريّة؟

لمتابعة آخر الأخبار العربية و الدولية

وكـالـة أنبـاء كـل العـرب
Agence Presse Al-Arab
Al-Arab Press Agency
TEL: 00337 53 22 99 53
e-mail: info@apa-arab.com

www.apa-arab.com

الموقع باللغات:
عربي - إنكليزي - فرنسي

هـام
أخبار عاجلة
Dernières Nouvelles
Breaking News

قناة كل العرب

YouTube: alarab koul

كل العرب
TV Koul Alarab

معركة بغداد 2003

ندوة حول موضوع "إريتريا" بقاعة فندق حياة ريجنسي
وذلك يوم السبت 3 أيلول - سبتمبر 2022

مجزرة عين الرمانة - بيروت 1975

تابعوا البرامج الوثائقية

حماية الأمن القومي العربي في مواجهة العدوان الصهيوني والإيراني

أ. علي المرعبي
■ ناشر و رئيس التحرير ■

يُعد الأمن القومي العربي ركيزة أساسية لاستقرار المنطقة وازدهارها، وهو مفهوم يتجاوز الأبعاد العسكرية ليشمل الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

يواجه الأمن القومي العربي اليوم تحديات متعددة الأوجه، اهمها:

التهديدات العسكرية: استمرار الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية والعربية يمثل تهديداً استراتيجياً يمس جوهر الأمن العربي الجماعي. بالإضافة إلى ذلك، فإن التدخلات الإقليمية والدولية في الدول العربية، التي وصلت إلى حد الوجود العسكري الأجنبي، تشكل تحدياً مباشراً للسيادة الوطنية.

التهديدات السياسية والاقتصادية: استمرار الاستيطان الصهيوني وغياب حل عادل للقضية الفلسطينية يبقي المنطقة في حالة توتر دائم.

التحديات الداخلية: تعيش المنطقة العربية في ظل نزاعات داخلية وتدخلات خارجية، مما يجعل الحاجة إلى رؤية عربية مشتركة للأمن أكثر إلحاحاً.

العدوان الصهيوني وتأثيره على الأمن القومي العربي

منذ قيامها في عام 1948، مثّل الوجود الصهيوني التهديد الأكثر خطورة على الأمن العربي. هذا التهديد لا يقتصر على احتلال الأرض، بل يمتد إلى الهوية العربية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

التدخلات الإيرانية وتأثيرها على الأمن القومي العربي

يلعب نظام الملالي دوراً عدوانياً في المشرق العربي. فقد تمكنت إيران بعد احتلال العراق من بناء ميليشيات في لبنان واليمن والعراق وسوريا، والتي تُعد رافعة لمشروعها التوسعي. هذه الميليشيات شكلت العمود الفقري للمشروع الإيراني، مما أمن لها النفوذ مرحليا، وحتى تلقي ما يسمى بمحور المقاومة ضربات حاسمة أدت إلى إنهاكه، وكشفت عن ضعف قدراته وسوء تقديراته، من أبرزها:

إضعاف حزب الله في جنوب لبنان: شن العدو الصهيوني حملة عسكرية مركزة على مواقع الحزب، استهدفت قياداته ومخازن أسلحته، مما أجبر الحزب على مغادرة جنوب الليطاني، وإخراجه من معادلة الصراع.

خروج سوريا من المشروع الجيوسياسي الإيراني: يُعد سقوط نظام الأسد وخروج سوريا من دائرة المشروع الجيوسياسي الإيراني خسارة كبرى لحلقة أساسية بين إيران ولبنان وفلسطين عبر العراق.

التحديات والحلول

إن التحديات التي يواجهها الأمن القومي العربي من العدوان الصهيوني والإيراني تتطلب استراتيجية عربية موحدة وفعالة. يمكن تلخيص أبرزها في:

تفعيل التعاون الأمني والدفاعي: يجب على الدول العربية تفعيل معاهدات الدفاع المشترك وتطوير عقيدة أمنية موحدة تحدد بوضوح طبيعة التهديدات وأولويات الدفاع.

تعزيز الوحدة والتضامن: تجاوز الانقسامات السياسية وتوحيد الصف العربي لمواجهة التحديات المشتركة، ووضع المصلحة المشتركة فوق الحسابات الضيقة.

بناء القدرات الذاتية: الاستثمار في القدرات العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية للدول العربية لتقليل الاعتماد على القوى الخارجية.

الدبلوماسية الفعالة: استخدام الدبلوماسية لحل النزاعات الإقليمية والدولية، والعمل على بناء علاقات متوازنة مع جميع الأطراف الإقليمية والدولية.

كل العرب

مجلة عربية شاملة تصدر من باريس

الناشر ورئيس التحرير: **علي المرعبي**

91, rue du Faubourg Saint-Honoré 75008 Paris/ France - Port: 06 25 23 17 75 -Tel: 09 82 63 75 78 -
e-mail: koulalarab.paris@gmail.com - www.koul-alarab.com
SARL: KOUL ALARAB - Siret: 899 008 080 00017 - CJ. 5499 - APE 58.14Z - capital 10.000 € - INPI: 4464381
et: 20 4 687 031 - ISSN: 2677-349X

مدير العلاقات العامة:
محمد الاسباط

سكرتير التحرير:
غادة حلايقة

المشرف على القسم الاقتصادي:
غسان الطالب

المشرف على السياسة الدولية:
لهيب عبدالخالق

المشرف على القسم السياسي:
خالد النعيمي

المشرف على القسم الثقافي:
نسيم قبها

المشرف على القسم الاجتماعي
أسماء الصفار

المشرف على القسم الرياضي :
ادريس سيباح

المدير الفني :
لؤي المرعبي

المدير المسؤول:
رنا الجندي

الكاريكاتير و الرسم :
عادل ناجي

مكاتب المجلة

معتز فخرالدين
غادة حلايقة
وفاء رشيد
ليلى قيري
إسحق البصير
أسماء الصفار
هويدا عبد الوهاب
علي عبدالقادر
سناء جاء بالله
زياد المنجد
عمر محمد فاضل

يشارك بها الكثير من الاصدقاء الكتاب منهم:

حميدة نعنع
مازن الرمضاني
مايز الادهمي
هاني الملاذي
زياد المنجد
محمد زيتوني
عبد الرزاق الدليمي
عبدالناصر سكرية
محمد المرواني
نائلة فزع
إياد سليمان
علي القحيص
نزيهة رفاعي
ليلى قيري
نسيم قبها
نوال خضري
حياة رايس
علي عبدالقادر
اسامة الاشقر
رجاء السنوسي

جميع الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن رأي آصحابها وليس بالضرورة أن تعبر عن رأي المجلة.

شركة التوزيع:
الشركة القومية للتوزيع **شركة الصحافة التونسية**

ثمن النسخة في الدول العربية: 3 دولار او ما يعادلها

ثمن النسخة في دول العالم: 5 يورو او ما يعادلها

رسوم الاشتراك: 90 دولار (اسعار الاشتراك شاملة رسوم البريد)

في هذا العدد

أسطول الصمود يعري «ديموقراطية» الاحتلال

الحروب والوقود الأحفوري: كيف تدمر النزاعات البيئة وتهدد مستقبل الحياة

كل السياسة

عجز الصين وروسيا في تجاوز ظل إمبراطورية واشنطن الجيوسياسية

الخليج بين التمدد الإيراني والمصالح الغربية: صراع النفوذ وتحديات الأمن العربي

السودان بين عسكرة السلطة وحلم

«قواعد صهيونية على حدود الاردن الشرقية»

بين صلاة البيت الأبيض وأزمات العالم المعاصر: الدين، السياسة، ووهم التفسير السهل للحضارة

أوطاننا و مرض الدجل الإيراني

كل الاقتصاد

مضيق باب السلام «هرمز»

الحرب على سلاسل التوريد... حرب على اقتصاد

كل العلوم

نظرية اللعبة ومخرجات الصراعات والحروب الدولية

كل الثقافة

الكاهنة «ديهيا» بين التاريخ والذاكرة: مراجعة أدبية نقدية في ضوء رواية ابن خلدون

هل الذاكرة العربيّة ذاكرة ذكوريّة؟ المصلحون الاجتماعيون، هل هم الرّجال دائماً؟

حين يصير الربيع شاهداً على الدم مجازر ماي 1945 في الجزائر وذاكرة

حين يصبح الاختلاف خيانة

مسألة «موت الإله» في المعجم النيتشوي: محاولة جديدة للفهم

بين فقه الأولويات وغياب الرقابة: التونسي في مواجهة بورصة الأضاحي وحيدا

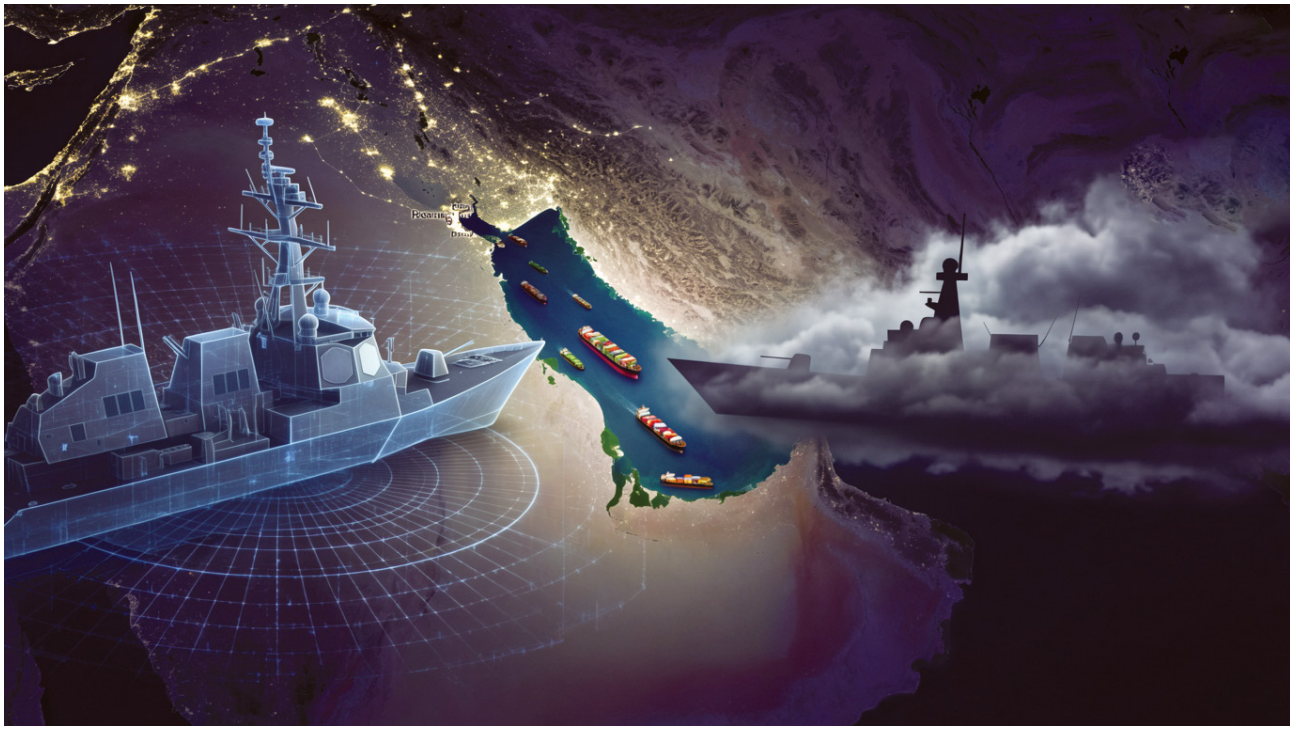

الخليج بين التمدد الإيراني والمصالح الغربية:
صـــراع الـنـفـوذ وتـحـديـات الأمـــن الـعـربـي

أ.د. عبد الرزاق محمد الدليمي
أستاذ جامعي. خبير الدعاية الإعلامية

تشهد منطقة الخليج العربي منذ عقود حالة من التوتر السياسي والأمني المتصاعد نتيجة تعقّد العلاقات وتقاطعها بين النظام الإيراني من جهة والولايات المتحدة وبريطانيا ودول الخليج العربية من جهة أخرى. وقد تحولت هذه المنطقة إلى واحدة من أكثر مناطق العالم سخونة وحساسية بسبب تشابك المصالح النفطية والعسكرية والاستراتيجية إضافة إلى الصراع على النفوذ والهيمنة الإقليمية. وفي خضم هذه المعادلة المعقدة برزت إيران بارادة وتخطي غرب لفرضها لاعباً إقليمياً يسعى إلى توسيع نفوذه السياسي والعسكري عبر أدوات متعددة في حين وجدت القوى الغربية في هذا التوتر المستمر فرصة لتعزيز حضورها العسكري والاقتصادي في الخليج العربي.

إيران ودور الشرطي الإقليمي

لابد من الاقرار بحقيقة ان الغرب اورث لنظام ايران الحالي ما كان مطلوب من نظام الشاه ولكن برداء مختلف. لذلك فإن العلاقة بين إيران والغرب لا يمكن اختزالها في صورة العداء التقليدي فقط بل إن طبيعة هذه العلاقة تكشف أحياناً عن وجود توازنات غير معلنة تخدم مصالح متبادلة بصورة غير مباشر فقط، فإيران عبر سياساتها التصعيدية وتهديداتها المتكررة لدول الخليج تدفع هذه الدول نحو الارتماء أكثر في أحضان القوى الغربية طلباً للحماية الأمنية والعسكرية واعادة تقييم مواقفها من اسرائيل. ومن هنا تعزز الولايات المتحدة وبريطانيا حضورهما في المنطقة عبر القواعد العسكرية وصفقات الأسلحة الضخمة والاتفاقيات الأمنية طويلة الأمد.

لقد استخدمت إيران طوال47 عاما الماضية أدوات متعددة لفرض نفوذها في المنطقة بدءاً حربها ضد العراق والمساهمة باحتلاله وانشاء ودعم الميليشيات المسلحة في العراق وسوريا ولبنان واليمن وصولاً إلى استثمار البعد الطائفي والسياسي لإيجاد بيئات موالية لها داخل بعض المجتمعات العربية. كما سعت إلى توظيف موقعها الجغرافي وسيطرتها على ممرات بحرية استراتيجية وعلى رأسها مضيق هرمز العربي الاصل كورقة ضغط على المجتمع الدولي

ودول الخليج العربي.

المصالح الغربية واستثمار التوتر الخليجي الإيراني

استفادت القوى الغربية من التهديدات الإيرانية لتبرير استمرار وجودها العسكري في الخليج، وتوسيع صفقات التسليح مع الدول الخليجية. فكلما تصاعد التوتر الإقليمي ازدادت حاجة دول الخليج إلى أنظمة الدفاع الجوي والطائرات الحديثة والأساطيل البحرية المتطورة وهو ما انعكس بمليارات الدولارات على شركات الصناعات العسكرية الغربية.

كما أن التوتر الإيراني الخليجي خلق حالة من الاعتماد الاقتصادي والسياسي المتبادل بين دول الخليج والغرب ...إذ أصبحت الحماية الأمنية الغربية جزءاً أساسياً من معادلة الاستقرار الخليجي. وهذا ما منح الولايات المتحدة وبريطانيا و(اسرائيل) نفوذاً استراتيجياً واسعاً في المنطقة، ليس فقط من خلال القواعد العسكرية بل أيضاً عبر التحكم بمسارات الطاقة والتجارة الدولية.

الجزر الإماراتية وأبعاد الصراع الجيوسياسي

من أبرز القضايا التي تعكس الطموح الإيراني في الخليج العربي استمرار احتلال إيران للجزر الإماراتية الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى. فهذه الجزر لا تمثل مجرد خلاف حدودي عابر بل تشكل نقطة استراتيجية بالغة الأهمية للسيطرة على حركة الملاحة في الخليج ومضيق هرمز

ولهذا تتمسك إيران بهذه الجزر لأسباب عسكرية واقتصادية وجيوسياسية وتسعى إلى تعزيز وجودها العسكري فيها باعتبارها جزءاً من مشروع النفوذ الإقليمي الإيراني. كما أن السيطرة على هذه الجزر تمنح طهران قدرة أكبر على مراقبة التحركات البحرية وتهديد خطوط الطاقة العالمية عند أي تصعيد سياسي أو عسكري.

المخاطر التي تواجه دول الخليج العربي

تواجه دول الخليج تحديات متعددة بسبب السياسات الإيرانية تشمل التهديدات العسكرية، والأمنية والطائفية والاقتصادية. فإيران تعتمد بصورة واسعة على الحروب بالوكالة عبر دعم جماعات مسلحة في عدة دول عربية الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على استقرار المنطقة.

التوتر الإيراني الخليجي خلق حالة من الاعتماد الاقتصادي والسياسي المتبادل بين دول الخليج والغرب

كما اغلاق مضيق هرمز أو استهداف المنشآت النفطية يشكل خطراً دائماً على الاقتصاد العالمي خصوصاً أن الخليج العربي يمثل أحد أهم مصادر الطاقة في العالم. إضافة إلى ذلك فإن التوترات الطائفية التي تستثمرها إيران تمثل تحدياً خطيراً للنسيج الاجتماعي والوحدة الوطنية في بعض الدول الخليجية.

الحاجة إلى استراتيجية خليجية موحدة

في ظل هذا الواقع تجد دول الخليج نفسها أمام تحديات معقدة تتطلب استراتيجيات متعددة الأبعاد. فلم يعد ممكناً الاكتفاء بسياسات الدفاع التقليدي سيما بعد الاعتداءات السافرة على دول الخليج في الحرب الاخيرة بل بات من الضروري الانتقال نحو بناء منظومة خليجية متماسكة قادرة على تحقيق الردع السياسي والعسكري والاقتصادي والإعلامي.

إن تعزيز الوحدة الخليجية يمثل الخطوة الأولى في مواجهة التمدد الإيراني إذ إن الانقسامات السياسية والخلافات البينية تمنح إيران فرصة لاختراق الموقف الخليجي واستثمار التناقضات لصالحها وهذا ما نخشاه بعد الخطوات الاخيرة التي حدثت في جسد مجلس التعاون الخليجي؟! كما أن بناء قوة دفاع خليجية مشتركة وتعزيز التنسيق الاستخباراتي والأمني وتطوير القدرات السيبرانية أصبحت جميعها من المتطلبات الأساسية لحماية الأمن القومي الخليجي.

تنويع التحالفات الدولية

في الجانب السياسي الذي تحتاج دول الخليج إلى تنويع تحالفاتها الدولية وعدم الارتهان الكامل لقوة واحدة، مع الاستمرار في الاستفادة من العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا بالتوازي مع توسيع الشراكات مع قوى دولية أخرى مثل الصين والهند وروسيا.

فالتوازن في العلاقات الدولية يمنح دول الخليج هامشاً أوسع للمناورة السياسية ويحمي مصالحها الاستراتيجية كما يساهم في تقليل الضغوط السياسية والاقتصادية التي قد تتعرض لها المنطقة نتيجة الصراعات الدولية المتغيرة.

المعركة الإعلامية والفكرية

إن المواجهة مع المشروع الإيراني لا ينبغي أن تقتصر على الجانب العسكري فقط، بل تشمل أيضاً البعد الإعلامي والثقافي والفكري. فإيران تعتمد بصورة كبيرة على الدعاية السياسية والطائفية لتوسيع نفوذها الأمر الذي يتطلب خطاباً إعلامياً عربياً موحداً يركز على تعزيز الهوية الوطنية ومواجهة خطاب الكراهية والانقسام الطائفي وترسيخ قيم المواطنة والتعايش.

ومن المهم أيضاً أن تعمل دول الخليج على معالجة أي اختلالات داخلية يمكن أن تستغلها القوى الخارجية (خصوصا الخلايا النائمة؟!) سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية. فالوحدة الوطنية والعدالة الاجتماعية والتنمية المتوازنة تشكل خطوط الدفاع الحقيقية في مواجهة التدخلات الخارجية.

إن التحدي والمخاطر المتزايدة التي يشكلها نظام الملالي في ايران ضد دول الخليج العربي ليس مجرد صراع حدودي أو سياسي مؤقت بل هو جزء من مشروع إقليمي طويل الأمد يسعى إلى إعادة تشكيل موازين القوة في الشرق الأوسط. وفي المقابل فإن القوى الغربية تستثمر هذا التوتر للحفاظ على نفوذها ومصالحها الاستراتيجية في المنطقة.

وبين هذين المسارين تبقى دول الخليج أمام مسؤولية تاريخية تتطلب بناء مشروع عربي خليجي متكامل يحافظ على الأمن والاستقرار والسيادة الوطنية يتجاوز بعض الخلافات البينية؟! بعيداً عن الارتهان للصراعات الدولية أو الانقسامات الإقليمية. كما أن مستقبل الخليج العربي سيتحدد بمدى قدرة دوله على الانتقال من مرحلة ردود الفعل إلى مرحلة الفعل الاستراتيجي عبر بناء منظومة أمن قومي عربي متماسكة وتحقيق استقلالية سياسية واقتصادية تدريجية وتعزيز الوحدة الداخلية في مواجهة كل مشاريع الهيمنة والتدخل الخارجي.

مـن تــوازن الــردع إلــى تــوازن التعطيل

أ.لهيب عبدالخالق
كاتبة عراقية مقيمة في كندا

لم يعد الشرق الأوسط يتحرك داخل الخرائط القديمة نفسها.. فهناك شيء أعمق يتشكل تحت الضجيج العسكري، وتحت الهُدن الهشَّة، وتحت التصريحات المتوترة التي تتصاعد ثم تهبط فجأةً عند حافة الانفجار، إذ تدخل المنطقة تدريجياً زمناً جديداً تتغير فيه طبيعة القوة ذاتها، وتتغير معه وظيفة الحرب، ومعنى الردع، وحتى معنى السيطرة الجغرافية.

وخلال العقود السابقة كان مفهوم "توازن الردع" يقوم على امتلاك قوة قادرة على منع الخصم من شن حرب شاملة، فالجيوش الكبرى، الترسانات الصاروخية، التفوق الجوي، القواعد العسكرية، والأساطيل البحرية، كلها كانت تتحرك ضمن معادلة واضحة نسبياً: من يملك قدرة التدمير الأعلى يفرض حدود الحركة على الآخرين.

أما اليوم تبدو الصورة مختلفة بصورة جذري، فالمنطقة تتحول نحو ما يمكن تسميته "توازن التعطيل"، أي أن القدرة على شلّ الحركة العالمية، أو إرباك الاقتصاد، أو تهديد الممرات الحيوية، باتت أكثر تأثيراً أحياناً من القدرة على الانتصار العسكري المباشر.

فمضيق «هرمز» مثلاً يتحول تدريجياً من معبر للطاقة إلى عقدة خنق عالمية، والإغلاق الإيراني له، والحصار البحري الأميركي المرتبط بحركة العبور، والتهديد بمعاقبة أي جهة تدفع رسوماً أو تقدم تسهيلات للسفن العابرة، تكشف جميعها أن الصراع دخل مرحلة تتجاوز المواجهة العسكرية التقليدية نحو التحكم بالبنية الحيوية للاقتصاد العالمي نفسه.

ولم تعد المسألة مرتبطة بحركة النفط فقط، فالممرات البحرية باتت تحمل الطاقة والتجارة والبيانات في آنٍ واحد، لهذا أخذت التهديدات الإيرانية المتعلقة بالكابلات الضوئية البحرية بعداً بالغ الحساسية، وبخاصة مع اعتماد الاقتصاد الرقمي العالمي على شبكات تمر عبر الخليج والبحر الأحمر والمحيط الهندي، لذلك فإن أي تعطيل واسع لهذه الكابلات يمكن أن يصيب الأسواق والاتصالات وسلاسل التمويل الدولية بارتباكٍ حاد خلال وقتٍ قصير.

في المقابل تتعامل الولايات المتحدة مع هذه الممرات باعتبارها جزءاً من أمنها الاستراتيجي العالمي، لذلك يتصاعد الحضور البحري والعسكري حول نقاط العبور الحساسة، من هرمز إلى باب المندب، في وقت باتت فيه أدوات التعطيل منخفضة الكلفة قادرة على استنزاف قوى بحرية كبرى وإرباك التجارة الدولية ضمن بيئة تزداد سيولة وهشاشة.

ولذلك فإن أي اضطراب في هذا الممر ينعكس فوراً على الطاقة والتأمين وسلاسل النقل العالمية، ويمتد المشهد ذاته إلى البحر الأحمر وباب المندب، حيث باتت أدوات التعطيل منخفضة الكلفة قادرة على استنزاف قوى بحرية كبرى وإجبارها على نشر أساطيل مكلفة لحماية التجارة الدولية ضمن بيئة تتصاعد فيها السيولة الاستراتيجية يوماً بعد آخر.

لهذا تتحول البحار تدريجياً إلى مساحات اشتباك مركبة، تختلط فيها الجغرافيا العسكرية بالاقتصاد الرقمي والطاقة والتكنولوجيا، شرق المتوسط، البحر الأحمر، الخليج العربي، والمحيط الهندي، لم تعد مجرد خرائط مائية، وإنما عقد استراتيجية تتقاطع فيها المصالح الأميركية والصينية والروسية والإقليمية بصورة معقدة للغاية.

والأخطر في هذه التحولات أن الصراع لم يعد يدور حول السيطرة على الأرض بالمعنى التقليدي، وإنما حول التحكم بالشبكات التي تجعل العالم يعمل يومياً، الموانئ، الأقمار الصناعية، مراكز البيانات، الكابلات البحرية، وأنظمة الملاحة الرقمية، تتحول جميعها إلى أهداف استراتيجية شديدة الحساسية؛ فالدول

القادرة على تهديد هذه الشبكات تملك تأثيراً يتجاوز أحياناً أثر الحروب المباشرة.

وتدخل شركات التكنولوجيا، وشبكات الاتصالات، والبنى الرقمية، والممرات التجارية، ضمن معادلة الردع الجديدة، العالم يتحرك تدريجياً نحو نموذج تتداخل فيه القوة العسكرية بالقوة التكنولوجية والاقتصادية، إلى درجة يصبح معها تعطيل منصة رقمية، أو إرباك ميناء حيوي، قادراً على إنتاج أثر استراتيجي يتجاوز أحياناً نتائج الضربات العسكرية التقليدية.

الولايات المتحدة تدرك هذه التحولات جيداً، فهي لم تعد تبحث عن حروب استنزاف طويلة كما حدث في العراق وأفغانستان، كما أنها لا تريد انسحاباً كاملاً يفتح المجال أمام فراغ استراتيجي واسع، لذلك تتحرك واشنطن ضمن سياسة إدارة التوازنات ومنع الانهيار الكبير، الضربات المحدودة، العقوبات الاقتصادية، التحالفات البحرية، والضغط الدبلوماسي، كلها أدوات تهدف إلى إبقاء الإقليم ضمن حدود قابلة للاحتواء.

إسرائيل تواجه بدورها معضلة مختلفة، فتفوقها العسكري ما زال واضحاً، غير أن البيئة المحيطة تغيرت بسرعة، الحروب الحديثة لم تعد تعتمد على الجيوش النظامية وحدها، بل على شبكات مرنة قادرة على المناورة والاستنزاف والاختباء داخل الجغرافيا المعقدة، لهذا تبدو إسرائيل، رغم قوتها النارية، عاجزةً عن إنتاج استقرار طويل المدى.

هذه التحولات تضع القوى الإقليمية أمام معضلة غير مسبوقة، فالتفوق العسكري لم يعد كافياً لإنتاج الاستقرار، كما أن امتلاك أدوات التعطيل لا يمنح بالضرورة قدرة على بناء توازن دائم، لهذا تدخل المنطقة في نمط طويل من الاستنزاف المتبادل، حيث تمنع الأطراف المختلفة الهزيمة الكاملة دون القدرة على فرض تسويات نهائية، ومع كل جولة تصعيد تتسع مساحة القلق العالمي من لحظة خطأ قد تدفع الممرات البحرية والطاقة والأسواق نحو اضطراب واسع يصعب احتواؤه سريعاً.

في المقابل تتحرك دول الخليج باتجاه مختلف نسبياً، إذ تخوض المنطقة الخليجية سباقاً اقتصادياً وزمنياً هائلاً لإعادة بناء موقعها العالمي، المدن الذكية، الذكاء الاصطناعي، الموانئ العملاقة، مشاريع الطاقة، الممرات التجارية، وسلاسل الإمداد، كلها تحتاج إلى بيئة مستقرة نسبياً، لهذا تبدو التهدئة مع إيران، والانفتاح على الصين، ومحاولات تخفيف التصعيد الإقليمي، جزءاً من رؤية أوسع تتعلق بحماية التحول الاقتصادي القادم.

الصين نفسها تدخل الشرق الأوسط بطريقة تختلف عن النمط الأميركي التقليدي، حيث تهتم بكين بالممرات التجارية والطاقة والأسواق، وتسعى إلى توسيع نفوذها الاقتصادي دون الانخراط المباشر في الحروب، غير أن توسع المصالح الصينية في المنطقة سيجعل من الصعب على بكين البقاء بعيدة تماماً عن التوترات المقبلة، وبخاصةٍ مع تصاعد الصراع العالمي حول طرق التجارة والطاقة والرقائق الإلكترونية والبنية الرقمية.

كل ذلك يشير إلى أن الشرق الأوسط لم يعد مجرد ساحة صراع محلي، وأن المنطقة تتحول إلى ممر حساس للتنافس العالمي، وإلى نقطة تماس بين الاقتصاد والتكنولوجيا والأمن والطاقة، وأن الحروب القادمة قد تبدأ بصاروخ، وقد تبدأ أيضاً بهجوم سيبراني، أو بتعطيل ميناء، أو بقطع كابل بحري، أو بإغلاق ممر ملاحي لبضعة أيام فقط.

لهذا تبدو الهدن الحالية شديدة الهشاشة، حتى عندما تنجح في إيقاف النار مؤقتاً، المنطقة تعيش داخل سيولة استراتيجية مستمرة؛ لا حرب شاملة، ولا سلام مستقر، وإنما موجات متلاحقة من الضغط والتعطيل وإعادة التموضع.

في هذا المشهد الجديد لم تعد القوة تقاس فقط بما تملكه الدول من جيوش وطائرات، فالقوة أصبحت مرتبطة أيضاً بالقدرة على تعطيل العالم، أو تهديد توازنه الاقتصادي، أو إرباك شبكاته الحساسة، هنا يتغير معنى الردع نفسه، وتدخل المنطقة مرحلة مختلفة تماماً عن خرائط القرن العشرين، مرحلة تبدو فيها الممرات البحرية والكابلات الضوئية والمسيّرات الصغيرة عناصر أكثر تأثيراً أحياناً من الجيوش التقليدية الثقيلة.

أ.يوسف عزيزي
كاتب و أديب احوازي

القومية الإسلامية في إيران: الدين في خدمة الهيمنة الفارسية

تشهد الساحة السياسية الإيرانية، منذ عام 1941، صراعاً بين ثلاث نزعات قومية رئيسة: القومية الملكية، والقومية الإسلامية، والقومية المصدقية.

وفيما كانت الأولى تميل إلى التحالف مع إسرائيل والولايات المتحدة، سواء في عهد الشاه أو في سياسات نجله المعارض، فإن الثانية لا تنسجم مع هذا التوجه بسبب بنيتها الفكرية الدينية التقليدية، بينما يتخذ الخطاب الثالث موقفاً وسطاً بينهما.

ورغم اختلاف هذه الخطابات الثلاثة، فإنها تتفق على أمرين أساسيين: أولهما تكريس الهيمنة السياسية والثقافية للقومية الفارسية داخل بلد متعدد القوميات، وثانيهما سعي إيران إلى أداء دور إقليمي ذي طابع إمبريالي في الشرق الأوسط، بوصفه امتداداً لدورها التاريخي قبل الإسلام وفي العهد الصفوي.

ومنذ انتصار الثورة الإيرانية، نشهد تصاعداً تدريجياً في حدّة الخطاب القومي الفارسي لدى الإسلاميين القوميين، ولا سيما خلال الحروب والأزمات المصيرية، بدءاً من الحرب مع العراق، وصولاً إلى التوترات الأخيرة مع إسرائيل والولايات المتحدة، فالسلطة تستخدم، في خطابها المركّب الفارسي ـ الشيعي، البعد القومي للحفاظ على تماسكها مع الفرس الذين ابتعدت شرائح واسعة منهم عن المعتقدات الإسلامية خلال العقود السبعة والأربعين الماضية، فيما توظف البعد الديني المذهبي للإبقاء على صلاتها بالشعوب غير الفارسية، ولا سيما العرب الأحوازيين والأتراك الأذريين.

عـجـز الـصـيـن وروســيـــا فـــي تــجـــاوز ظـل إمــبـــراطـــوريـة واشــنــطــن الـجـيـوسـيـاسـيـة

أ.نسيم قبها
كاتب وباحث فلسطيني

ليس سراً أن الجغرافيا هي القدر الأول للدول، لكن الحضارات العظمى هي التي تعيد كتابة القدر بالعادة، الولايات المتحدة وحدها، من بين القوى الكبرى اليوم، استطاعت تحويل عزلتها الجغرافية إلى أعظم أداة للهيمنة، بينما ظلت الصين وروسيا أسيرتين لحدودهما الطبيعية، مهما حاولتا ارتداء ثوب القوة العالمية، لنفهم هذه القضية، علينا أن نغوص في ثلاث طبقات فلسفية: أولاً، جغرافية القوة ومعضلة الامتداد، ثانياً، فلسفة القرار الدولي واليد الطولى، ثالثاً، منطق التنسيق كاعتراف ضمني بالتفوق.

الطبقة الأولى: الجغرافيا كقانون قاسٍ ومعضلة الامتداد

لفهم هذه المعادلة، ينبغي أن ننطلق من قول مكيافيلي: «القائد الحكيم لا يصنع حروبه أبداً على جبهتين»، الصين وروسيا، بفضل موقعهما القاري المترامي، محكومتان بإدارة جبهات متعددة في آنٍ واحد، روسيا تواجه أوروبا عبر أوكرانيا وبولندا، والقوقاز عبر جورجيا وأذربيجان، وآسيا الوسطى حيث النفوذ التركي الصاعد، والقطب الشمالي حيث سباق الموارد، أما الصين، فتواجه بحر الصين الجنوبي بادعاءات فيتنام والفلبين، ومواجهة الهند على الحدود التبتية، وكوريا الشمالية غير المستقرة، والوجود العسكري الأمريكي في اليابان وكوريا الجنوبية، كل جبهة تسحب موارد، وكل أزمة تهدد المركز.

أما أمريكا، فيحيطها محيطان هادئ وأطلسي، وجيرانها كندا والمكسيك لا يشكلان تهديداً وجودياً منذ أكثر من قرن، هذه الرفاهية الجيوسياسية نادرة في التاريخ: تحويل كل الطاقات إلى الخارج دون خوف على القلب، المؤرخ العسكري جون كيجان قال ذات مرة: «أمريكا هي القوة الوحيدة التي تستطيع خوض حربين كاملتين في قارتين مختلفتين، وفي نفس الوقت تمنع أي عدو من الاقتراب من شواطئها»، روسيا لو حاولت خوض حرب في أمريكا اللاتينية لانهارت اقتصادياً خلال أشهر، والصين لو حاولت نشر قوات في أوروبا الشرقية لاصطدمت بحلف الناتو بأكمله.

هذه الميزة ليست مجرد طوبوغرافيا، بل فلسفة سياسية متكاملة، صموئيل هنتنغتون قال إن أمريكا أمة فريدة لأنها وُجدت بفكرة وليس بإثنية، لكن العمق الفلسفي الحقيقي هو أن أمريكا استطاعت أن تجعل من «لا حدود» حدودها، حيثما تنتهي القوة العسكرية الأمريكية، تبدأ عملة الدولار كسلاح، وحيثما يتوقف الدولار، يبدأ النفوذ الثقافي عبر هوليوود وجامعات آيفي ليج، وحيثما يقصر النفوذ الثقافي، تنطلق حاملات الطائرات من أساطيلها الـ11 المنتشرة في كل بحار العالم، أما الصين وروسيا، فكل محاولاتهما للخروج عن النطاق الإقليمي تصطدم بحقيقة قاسية: أي امتداد لهما يُقرأ على الفور باعتباره تهديداً وجودياً لجيرانها، بينما أي امتداد أمريكي يُقرأ كـ«إدارة النظام الدولي».

> **روسيا تطلق صواريخ، والصين تطلق بيانات غاضبة، لكن أمريكا تطلق سيناريوهات كاملة**

الطبقة الثانية: فلسفة القرار الدولي واليد الطولى

تعالَ إلى فلسفة القرار الدولي، الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ومقرهما نيويورك، صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ومقرهما واشنطن، حلف شمال الأطلسي (الناتو)، الذي لا يمكن لأي عملية عسكرية أن تبدأ دون قيادة أمريكية، أسطول البحرية الأمريكية السابع، المتمركز في المحيط الهادئ منذ 1945، هذه ليست مجرد مؤسسات، بل تجسيد حي لفكرة «اليد الطولى»: أمريكا لا تحتاج إلى موافقة أحد لصنع مشاكل العالم؛ لأنها صانعة اللغة التي تُكتب بها المشاكل.

عندما تشتعل أزمة في شرق أوروبا، أو مضيق تايوان، أو الخليج العربي، أو مضيق هرمز، أو القرن الأفريقي، الجميع ينظر إلى واشنطن، لا إلى بكين أو موسكو، روسيا تطلق صواريخ، والصين تطلق بيانات غاضبة، لكن أمريكا تطلق سيناريوهات كاملة: عقوبات اقتصادية محكمة، تنسيق عسكري مع حلفاء، وحملة إعلامية عالمية، الفارق أن روسيا والصين تتفاعلان مع الأحداث، بينما أمريكا تخلقها وتوجهها.

هنا نصل إلى جوهر الفرق الفلسفي بين القوى الثلاث، روسيا دولة قومية كلاسيكية، تفكر بالمناطق العازلة والممرات الدافئة، الصين دولة إمبراطورية ناهضة، تفكر بالدوائر المتجاورة: جيران أولاً، ثم آسيا ثانياً، ثم العالم ثالثاً، أما أمريكا، فهي إمبراطورية لوجستية لا مركزية، تفكر في العقد والشبكات، ليس المهم أن تمتلك الأرض، بل أن تتحكم في البحر، والفضاء السيبراني، وسلاسل التوريد العالمية، والعملة الاحتياطية، هذا هو السبب في أن الصين تبني قاعدة عسكرية واحدة في

جيبوتي، بينما تمتلك أمريكا أكثر من 800 قاعدة حول العالم، الفرق ليس بالعدد فقط، بل بالمنطق: القاعدة الأمريكية في جيبوتي هناك لحماية تدفق النفط والتجارة العالمية، والقاعدة الصينية هناك لحماية سفينة تجارية واحدة.

الطبقة الثالثة: التنسيق كاعتراف وليس خياراً

صحيح أن الصين أصبحت القوة التجارية الأولى في العالم من حيث حجم الصادرات، وروسيا تمتلك ترسانة نووية مرعبة تكفي لإنهاء الحضارة الإنسانية، لكن التجارة دون أسطول بحري قادر على حماية خطوط الملاحة في المحيطين الهندي والهادئ، والنووي دون حلفاء موثوقين في أوروبا وآسيا، يجعل منهما لاعبين إقليميين بنكهة عالمية، لا لاعبين عالميين حقيقيين، أمريكا وحدها تمتلك ثلاثية القوة الساحقة: الردع النووي المتطور، والتعبير البحري الذي يصل لأي نقطة خلال 48 ساعة، والنفوذ المالي من خلال نظام «سويفت» الذي يمر 95% من التحويلات الدولية عبره، وهيمنة الدولار التي تشكل 58% من الاحتياطيات العالمية.

لا يمكن لأي حرب إقليمية أن تبدأ أو تنتهي دون ضوء أخضر من واشنطن، ولا يمكن لأي عقوبات اقتصادية أن تكون مؤثرة دون توقيع أمريكي، عندما فرضت أمريكا عقوبات على روسيا بعد غزو أوكرانيا، انهار الروبل مؤقتاً وتراجع الاقتصاد الروسي بنسبة 2.5% في عام 2022، عندما تهدد الصين بتطويق تايوان، تتحرك حاملتا طائرات أمريكيتان إلى مضيق لوزون في غضون أيام

وفي العمق الفلسفي، هناك نظرية «المنفعة القصوى للقوة» التي طرحها جوزيف ناي: القوة ليست مجرد إجبار الآخر على ما لا يريد، بل جعله يريد ما تريد، أمريكا تتفوق لأنها نجحت في جعل العالم يريد دولارها، أفلامها، جامعاتها، أحلامها، وحتى لهجتها الإنجليزية، الصين وروسيا لا تزالان في مرحلة الإجبار والعقوبات المضادة، وليس في مرحلة الجذب الثقافي، هذا الفرق بين الجذب والدفع هو منبع العزلة الطوعية التي يعاني منها القطبان الآخران.

لكل هذا، أي تنسيق بين الصين وروسيا مع أمريكا ليس ضعفاً، بل اعترافاً ضمنياً بقاعدة اللعبة التي كتبتها واشنطن، عندما تجلس موسكو وبكين إلى طاولة المفاوضات حول أوكرانيا أو تايوان أو سوريا أو إيران، فإنهما يفعلان ذلك لأن أمريكا هي المرجعية النهائية لأي تسوية، القبول بتقاسم بعض المصالح -مثل الحفاظ على الاستقرار النووي أو مكافحة الإرهاب- ليس خياراً استراتيجياً، بل ضرورة فرضتها طبيعة نظام دولي ما زال، رغم كل التحولات نحو التعددية القطبية، أمريكي الهيكل والروح.

في النهاية، الجغرافيا ليست قدراً مطلقاً، لكنها قانون قاسٍ لا يُخادع، الصين ستبقى محكومة بـ»جدار» الهيمالايا والتبت والمحيط الهادئ المزدحم بالخصوم، روسيا ستبقى أسيرة سهولها المكشوفة وموانئها المتجمدة وحدودها الممتدة لآلاف الأميال، أما أمريكا، فستظل القلعة التي يصلها المحيطان ولا يصلها عدو، القادرة على أن تكون مشكلة كل إنسان في العالم، دون أن يكون لأي إنسان مشكلة واحدة داخل حدودها، هذه ليست شوفينية قومية، بل قراءة فلسفية صارمة لخريطة القوة: اليد الطولى ليست عضلة، بل فكرة سكنت الجغرافيا، وأمريكا هي التي كتبت تلك الفكرة بحبر المحيطات.

لكن لا شيء في التاريخ مكتوب بحبر لا يمحى، كل يد طولى تتحول في النهاية إلى ذاكرة، وكل إمبراطورية تعتقد أنها خالدة تصطدم بجدار الزمن، أمريكا اليوم تواجه ما واجهته روما من قبل: تآكل الداخل، استقطاب قاتل، ديون تنهش المستقبل، وشباب لم يعودوا يؤمنون بـ»الحلم»، الصين وروسيا تتعلمان، والجنوب العالمي لم يعد ساكناً، القوة التي لا تتجدد بالعدالة ولا تتواضع للتاريخ، تتحول إلى عبء، أمريكا ليست قدراً، بل مرحلة، وكل مرحلة، مهما طالت، تنتظر فجرها الآخر.

العالم والتحول الحضاري..

د.عبد الناصر سكرية
طبيب وكاتب عربي

بعد سلسلة متواصلة متراكمة من الفضائح الأخلاقية التي أسقطت آخر أوراق التوت عن عورات النظام العالمي السائد، وأسقطت معها أسسه الفكرية، وكشفت وحشيته المادية اللامحدودة وغير المقيدة بأي قيدٍ أخلاقي أو إنساني، وبعد أن أسقط الغرب الاستعماري ذاته كل مقومات ما أسماه هو نفسه: «منظمات دولية، وقانون دولي، واتفاقيات دولية» تضبط وتنظم العلاقات بين الدول والأمم بما فيها كل ما يتعلق بالبيئة والصحة وحقوق الإنسان وتقرير المصير والحروب والأسرى، بات واضحا أن نظام القيم الغربي والقانون الدولي أصبح في عداد المفقود، بل والمنهار تماما.

وإذا كانت «حضارة» الغرب هي الغالبة والسائدة منذ خمسة قرون، فرضت خلالها مفاهيمها المادية وعقلها النفعي الاستهلاكي على العالم بأسره، بالقوة وبالخداع غالباً، وبتسويق النموذج الغربي مختبئاً تحت عباءة شعارات براقة جاذبة ومخادعة في ذات الوقت، فإنها تمكنت من أن تشكل نموذجاً عالمياً متفرداً من حيث الثقافة والمفاهيم الاجتماعية والعقل العلمي والبحث التجريبي، الأمر الذي مكنها من التقدم التقني والعمراني والعلمي في مختلف مجالات العلوم وميادين الحياة.

ثم توالت الأحداث منذ بداية القرن الواحد والعشرين لتكشف من الخفايا والفضائح ما كان كافياً لانهيار النموذج الغربي السائد انهياراً تاماً وعلى أكثر من صعيد.

الصعيد الأول:

نظام ما بعد الحرب «العالمية» الثانية: وهو النظام الذي شكلته القوى الدولية المنتصرة في الحرب، وهي التي تشكل أساس النموذج الغربي وعقله المفكر وقوته الاقتحامية، فكانت منظمة الأمم المتحدة وما تفرع عنها وتبعها من منظمات دولية تعنى بشؤون الحياة كافة، وتنظم العلاقات -أو هكذا كان يفترض- بين الدول، وتضع الضوابط للحروب والتعامل فيها، فكان مجلس الأمن واليونيسف ومنظمة الأغذية العالمية ومنظمة الصحة العالمية واتفاقية جنيف بخصوص أسرى الحروب وسواها الكثير مما يخص البيئة والمياه الإقليمية للدول، وهكذا إلى ما لا نهاية، ثم كانت محكمة العدل الدولية ثم الجنائية الدولية، كانت هذه المنظمات أساسا لنوع من الانضباط والاستقرار العالميين، ولو في حده الأدنى، وكانت الدول الكبرى الغربية تنتهكها وتسخرها لخدمة مصالحها في كل مرة تحتاج إليها؛ لتكون وسيلةً أو ستاراً لتمرير مصالح عينية لها، وكان الغالب أن لا تنتهك قوانينها علانيةً، بل التستر والتخفي والمخادعة كانت الأساس في ذلك الاستخدام والتوظيف لمصالح الدول الكبرى، فكان أن تمتعت تلك المنظمات بكثيرٍ من المصداقية أمام جمهور البشر، وخصوصاً أولئك الذين لا يدركون الخفايا وتأخذهم تسويقات الإعلام والدعاية، ما جعلها تلعب أدواراً فاعلة وتمارس صلاحيات نافذة كانت تبدو وكأنها تطبيقاً للقانون الدولي، ومن خلفه نظامٌ دولي متكامل مترابط.

وعلى الرغم من أنها صُنعت وتشكلت بأيدي قوى النظام الدولي ما بعد الحرب ولخدمتها، إلا أن ما تمتعت به من ثقة الجمهور العالمي جعلها مقبولةً ومطلوبة، حتى صارت ملجئاً لكل جهة محلية أو دولية ضعيفة أو مستضعفة أو مستهدفة تحاول باللجوء إليها تحصيل شيء من حقوقها المهدورة، أو تطالب بحقوقٍ لها مغتصبة.

وكانت تتكشف بين الحين والآخر بعض الخفايا التي تلقي الضوء على جزء من الحقيقة المغيبة عن الوعي العام فيما يخص تلك المنظمات وعملها وفعالياتها، لكنها سرعان ما كانت تنطفىء بعد تسويق تبريرات لها ثم إسقاطها سريعاً عن أي اهتمام إعلامي، إلى أن دخل القرن الواحد والعشرون، وبدأت الفضائح تتكشف بسرعة أكبر ووتيرة أعلى، فكانت أحداث 11 سبتمبر 2001، وتدمير برجي التجارة في نيويورك، المدماك الأول في بداية انهيار نموذج النظام العالمي إياه.

كان إطلاق حرب إعلامية شاملة وشريرة وشرسة على ما سمي «الإرهاب العالمي»، وأساس الإرهاب الإسلامي انطلاقاً من أحداث تدمير البرجين، إشعاراً لظاهرتين متكاملتين:

الأولى: الذعر الذي أصاب العالم الغربي الرأسمالي وأشعره بزعزعة سيطرته على المصالح الدولية، وظهور منافسات قوية تكاد تسلبه تفرده وتحكمه، وهو ما دفعه إلى تمثيل تلك المسرحية الإجرامية لاتخاذها ذريعةً لحروب خارجية تدميرية ولكنها معلنة وواضحة، ولا تختفي تحت شعارات براقة، كحماية أقليةٍ هنا، أو حقوق إنسان هناك، أو حماية الديمقراطية مثلاً.

الثانية : توجه خاص جداً نحو الوطن العربي كجغرافيا وثقافة ومقدرات، والإسلام كدين وحضارة وقيم.

كان واضحاً اتخاذهما معاً: الوطن -العربي والإسلام- كعدو أول وأخير للنموذج الغربي، وقلبه الولايات المتحدة.

ثم كان غزو العراق واحتلاله وإسقاط نظامه الوطني المدماك الثاني في بداية انهيار النموذج الغربي الحاكم والمتحكم.

لقد حفل كلا الحادثين: تدمير البرجين، واحتلال بلاد الرافدين بكثير من الأكاذيب والتزوير والخداع، ما جعلهما أساساً فعلياً لانكشاف حقيقة النظام العالمي والهيمنة الرأسمالية الاستعمارية عليه، وبداية تصدعه تمهيداً لانهياره.

ثم تتالت الأحداث فبلغ الانكشاف ذروته في العدوان الأمريكي - الصهيوني على غزة وفلسطين، وحرب الإبادة الجماعية المستمرة إلى اليوم، فكانت ممارسات دول العدوان انتهاكاً تاماً وصارخاً لكل قانون دولي، ولكل اتفاقية دولية، وكل ضوابط الحروب والتعامل من قتل المدنيين العزل، إلى قتل الصحافيين والأطباء، وتدمير المستشفيات وقتل الأطفال، وبوحشية ظاهرة وغير منكورة،

كانت كلها علامةً على انتهاء دور ووظيفة ما يسمى القانون الدولي، وإنهاء دور مؤسساته الدائرة حوله أو في فلكه.

ثم جاءت الحرب الحالية الراهنة في منطقة الخليج العربي لترسم خاتمة محزنة لذلك القانون الدولي، وتفتح الباب واسعاً لإيجاد نظام عالمي جديد يُعبر عن الوقائع المستجدة وموازين القوة المتجددة.

هل يعني هذا العودة إلى نظام ما قبل الحرب «العالمية» الثانية؟ بالتأكيد لا، فما كان قبلها لم يكن سوى سيطرة تامة لذات النظام العالمي الذي كان ينبغي أن يسقط بانتهاء الحرب «العالمية» الأولى، لكنه استطاع بخبثٍ وذكاء إعادة تدوير ذاته وقوته وصولاً إلى صياغة نظام ما بعد الحرب الثانية.

الصعيد الثاني: الأسس الفكرية والقيمية والمعرفية:

لم يكن انهيار النموذج الغربي مقتصراً على نظام منظمات ما بعد الحرب «العالمية» الثانية، بل يشمل أيضاً الأسس الفكرية التي تقوم عليها «حضارة» الغرب المادية الاستهلاكية، ومنظومة المفاهيم الاجتماعية والقيم السلوكية التي توجه عقله وحركته.

فمع انكشاف استهتار النظام الغربي بالقوانين التي وضعها هو ودوسه عليها دون وجلٍ أو تردد تكشفت خفايا المؤسسات التي كانَ يفترض أن تكون حامياً للقانون والنظام الدوليين، ليست خفايا من النوع الذي يقبل الأعذار أو يحتمل المسامحة أو يغفر الذلات، لكنها خفايا تجسد بأمانة ودقة النظام العقلي والنموذج الفكري والقوالب السلوكية التي تحرك أولئك الأشخاص الذين يشكلون قيادة تلك المؤسسات وطليعة إداراتها، ويوجهون سياساتها واهتماماتها، فإذا هي نخبة في غاية السقوط الأخلاقي والفساد الإداري، وصولاً حتى الجشع الإجرامي وليس الجشع المادي فقط، والاستحواذ على كل ما هو متاح في العالم من موارد..

سقط النموذج الغربي أخلاقياً وإنسانياً واجتماعياً، لم يسقط أفراد لأنهم فاسدون، بل سقطوا لأن نموذجهم في السلوك والتفكير والتعامل هو الفاسد والمعادي للإنسانية والقيم الإنسانية في أبسط صورها وأشكالها.

فحينما تتحول منظمة الصحة العالمية -على سبيل المثال- إلى دائرة للبحث والسعي في قتل البشر عوضاً عن حمايتهم، وإيجاد الوسائل العلمية والتقنية لتنفيذ القتل العامد المتعمد، تكون قد كشفت عن أحط أنواع السلوك البشري والعقل البهيمي المجرم.

وحينما تستطيع شركات التجارة الرأسمالية شراء ذمم الأطباء، فتعقد لهم المؤتمرات ويجرون لها الدراسات والأبحاث فقط لتسويق مصالحها التجارية المادية، نكون أمام نموذجٍ فريد من الانحطاط والسقوط الأخلاقي.

وحينما تزور الحقائق العلمية لتخدم المصالح المادية، وحينما يزور التاريخ، وتشوه الوقائع، ويزيف الوعي، وتغتصب العقول بأيدي نخب علمية وثقافية وإعلامية، لا نكون أمام فسادٍ سياسي أو إداري، بل أمام انحطاطٍ حضاري بلغ ذروته، بل أمام انهيار لا راد له ولا خلاص من آثاره المدمرة على كل صعيد.

أما في مجال السلوك وما يسوده من انحرافاتٍ وشذوذٍ وفساد من كل نوع، فالانهيار لا حدود له ولا مجال لمعالجته.

سقوط النظام الغربي العالمي في السياسة كما في الثقافة كما في نظم الحياة والأخلاق والسلوك

الأسوأ في كل هذا أن هذا النموذج الغربي - العالمي يضع الأساس الذي يبرر كل هذه المظاهر الشاذة والفاسدة، ويجد لها منطلقات فكرية ودوافع علمية - ثقافية تحض عليها، ويتخذ لها من القوانين ما يشرعها ويسمح لها بالمزيد من التدهور والانحدار.

حيال كل تلك الظواهر وما يترتب عليها، حق القول بسقوط النظام الغربي - العالمي في السياسة كما في الثقافة كما في نظم الحياة والأخلاق والسلوك.

هنا تبرز معضلة أخرى: هل من بديلٍ يشكل نموذجاً حضارياً حقيقياً يوجه السلوك الإنساني العام ويضبط إيقاعه على أسس جديدة أخلاقية إنسانية؟

ليست المعضلة في تشكل نظام للقوة العالمية على أساس من التوازنات الجديدة التي تفرضها الوقائع، ها هي قوة الصين ترتفع إلى الصف الأول عالمياً كقوة هائلة في الاقتصاد والعلم والتقنية والتطور، وحتى في الأسلحة الحديثة ووسائل المراقبة والتدخل والقتال.

وها هي روسيا تثبت قوة مادية وعسكرية قتالية متقدمة، كذلك تصعد دول البريكس كالصين والهند والبرازيل وروسيا وسواها، فهل تشكل واحدةً من هذه القوى التي باتت تضاهي القوة الغربية وتحاكي النموذج الغربي من حيث القوة والعمران والتقدم المادي والتقني والعسكري نموذجاً للحضارة الإنسانية يُقتدى به، فيسود ويُعمم؟

هل تملك منفردةً أو مجتمعة ثقافةً إنسانية يمكن تعميمها لتسود العالم وتحل مكان ثقافة الغرب المتهاوية؟

الأبرز بين تلك القوى الصاعدة والموازنة للنظام العالمي الجديد هي الصين بكل قوتها وتقدمها المادي والعمراني، وهي لا شك ستكون قريباً جداً أحد أبرز مراكز القوة العالمية، وستشكل مع أصدقائها أساساً لنظام جديد لتوزيع القوى العالمية وتوازناتها، فهل تستطيع تعميم ثقافتها ونموذجها الاجتماعي ليكون نموذجاً إنسانياً عالمياً؟

لا تملك الصين مثل هذه الإمكانية؛ فلغتها ليست قابلةً للتعميم لتصبح لغةً عالمية، كما أن معارفها الثقافية - الإنسانية ليست في هذا المستوى.

فما البديل إذن؟

من بين كل النماذج العالمية الراهنة، وحده النموذج الإسلامي - العربي يملك كل مقومات النموذج الحضاري الإنساني الذي يغطي الحاجات الروحية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية للمجتمع الإنساني، وحده القادر على الحلول مكان ثقافة الغرب المادية ونموذجه الاجتماعي المتهالك الساقط.

وحدها لغة العرب قادرةً على الانتشار وتحظى بالقبول العالمي.

وحده النموذج الإسلامي - العربي بما يمثله من اعتدالٍ ووسطية، ويلتزم به من قيم أخلاقية واجتماعية وأسرية، وضوابط اقتصادية للعدل والمساواة، ومن أركان أساسية للتعامل الإيجابي الحر بين الأفراد وبين الشعوب والأمم، هو القادر أن يكون النموذج الحضاري الإنساني البديل.

فهل يملك القدرة على التحول إلى هذا النموذج العالمي الحضاري ليغطي الحاجة البشرية الماسة إلى نموذجٍ بديل عن النموذج الغربي، ويملأ فراغاً حضارياً وخواءً روحياً يسود العالم بكل جوانبه وأجنحته وقواه ومجتمعاته؟

السودان بين عسكرة السلطة وحلم الدولة المدنية

د.علي عبدالقادر
كاتب وأديب سوداني

عُرِف السودان الحديث مع دخول قوات والي مصر الألباني محمد علي باشا عام 1821م، واستمر الحكم التركي المصري حتى سقوطه على يد الثورة المهدية في عام 1885م، ثم عاد الحكم الثنائي الإنجليزي المصري خلال الفترة من (1898-1956م)، إلى أن نال السودان استقلاله في الأول من يناير 1956م.

ومن خلال قراءة تاريخ السودان الحديث، يتضح أن الطابع العسكري ظل السمة الغالبة على نظام الحكم منذ نشأة الدولة الحديثة، كما أن الحروب لم تتوقف طوال تلك العقود، بل سرعان ما عادت للاشتعال بعد الاستقلال، وهذه المرة بين السودانيين أنفسهم، بدءاً من تمرد حامية توريت في 18 أغسطس 1955م، أي بدء الصراع المسلح بين الجنود الجنوبيين والشماليين، والذي يعتبر الشرارة الأولى للحرب الأهلية السودانية الأولى (1955-1972).

لقد تأسست السلطة في السودان، عملياً على منطق القوة والسلاح، حيث ظل الحكم في يد المؤسسة العسكرية أو القوى المسلحة المرتبطة بها، وبعد الاستقلال شهد السودان ما يقارب اثنين وعشرين محاولة انقلابية، نجح بعضها في الوصول إلى السلطة والاستمرار فيها لسنوات طويلة؛ فقد حكم الفريق إبراهيم عبود بين عامي 1958 و1964م، ثم جاء انقلاب العقيد جعفر نميري الذي استمر حكمه من 1969 إلى 1985م، وأعقبه انقلاب العميد عمر البشير عام 1989م، والذي امتد حكمه حتى 2019م، قبل أن يعود العسكر إلى واجهة السلطة مجدداً منذ عام 2021م، وبذلك يمكن القول أن الحكم المدني في السودان لم يحظَ إلا بفترات متقطعة ومحدودة، مقابل هيمنة طويلة للمؤسسة العسكرية على الدولة والمجتمع.

وقد أسهمت الأحزاب السياسية، سواء اليسارية كالحزب الشيوعي وحزب البعث، أو الإسلامية، في تسييس المؤسسة العسكرية عبر محاولات التغلغل داخلها واستخدامها وسيلة للوصول إلى السلطة، ونتيجةً لذلك، فقد الجيش السوداني حياده المهني، وتحول تدريجياً إلى ساحة للصراعات الأيديولوجية والجهوية والحزبية، الأمر الذي أضعف مفهوم الدولة الوطنية الجامعة.

هذا الواقع قاد بدوره إلى انتشار فكرة امتلاك السلاح بوصفه الوسيلة الأنجع لحماية المصالح أو الوصول إلى السلطة، فظهرت عشرات الحركات والجماعات والمليشيات المسلحة في مختلف أنحاء البلاد، من بينها: حركة أنانيا، والجيش الشعبي لتحرير السودان، ومؤتمر البجا، والأسود الحرة، وجبهة الشرق، وحركة تحرير السودان، وحركة العدل والمساواة، ثم قوات الدعم السريع، وغيرها من التنظيمات المسلحة التي كرّست عسكرة المجال السياسي والاجتماعي.

ولأن الأنظمة العسكرية بطبيعتها تميل إلى الحكم الأمني والدولة البوليسية، فقد أُجهضت معظم محاولات بناء دولة مدنية ديمقراطية قائمة على المؤسسات وسيادة القانون، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك استمرار الحروب واتساع نطاقها، في ظل التنافس بين الجيش المركزي والحركات والجماعات المسلحة المختلفة، وقد خلفت هذه الحروب كوارث إنسانية هائلة؛ إذ أدت الحرب الأهلية في جنوب السودان إلى مقتل وتشريد نحو مليوني شخص، بينما قُدّر عدد ضحايا حرب دارفور بمئات الآلاف، فضلاً عن الحرب الدائرة منذ عام 2023م بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، والتي تسببت في مقتل عشرات الآلاف وتشريد ملايين المواطنين، إضافةً إلى تدمير واسع للبنية التحتية والاقتصاد الوطني.

ويبقى السؤال الجوهري:

ماذا جنى السودان من عقود الحكم العسكري الطويلة؟

لقد كانت المحصلة النهائية تفكك الدولة السودانية، وانفصال جنوب السودان، وتراجع التنمية، وانتشار خطاب الكراهية، وتآكل النسيج الاجتماعي، وعودة الولاءات القبلية والجهوية على حساب الهوية الوطنية الجامعة.

إن الاعتراف بالأخطاء التاريخية يُعد خطوة ضرورية نحو بناء مستقبل مختلف، ولذلك فإن على المؤسسة العسكرية، ومعها القوى السياسية التي ساندت عسكرة الدولة، وخاصةً التيارات المرتبطة بنظام البشير سابقاً والبرهان حالياً أن تدرك أن استمرار الحكم عبر السلاح لم ولن يؤدِ إلا إلى مزيدٍ من التمزق والانهيار، كما أن السلام الحقيقي لا يمكن أن يتحقق في ظل التنافس المسلح على السلطة، ولكنه يمكن أن يتم عبر إقامة دولة مدنية ديمقراطية تكون فيها القوات المسلحة مؤسسة وطنية مهنية تخضع للسلطة التنفيذية المدنية، ويقتصر دورها على حماية الحدود والدفاع عن الوطن، لا التدخل في السياسة أو الحكم.

لقد أثبتت التجربة السودانية، عبر عشرات السنين، فشل منطق البنادق في بناء الدولة وتحقيق الاستقرار ولذلك أصبح من الضروري الانتقال إلى منطق الدولة المدنية، القائمة على الديمقراطية والحوكمة الرشيدة وسيادة القانون والتداول السلمي للسلطة، وأن تدار البلاد عبر المؤسسات الدستورية، بحيث يكون للشعب الحق الكامل في اختيار من يحكمه بحرية، بعيداً عن القهر والخوف ووصاية العسكر وهيمنة القوة المسلحة، فإبعاد السلاح عن السياسة ليس فقط شرطاً لوقف الحروب، بل هو المدخل الحقيقي لبناء سودان جديد يسوده السلام والاستقرار والتنمية والعدالة.

تصريحات الفيصل والشريان التي لم تكن في وقتها

د. علي القحيص
كاتب سعودي

ضجّت وسائل الإعلام العربية، والتواصل الاجتماعي خلال هذه الأيام، بشكل موسع وما بين (مكذّب ومصدّق) حول تصريحات الأمير تركي الفيصل، والأستاذ داود الشريان، عبر مقابلتين متزامنتين، وكلاهما عبر (بود كاس)، حيث قال صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل إنّ المملكة العربية السعودية دعمت الانتفاضة (الشعبانية) في جنوب العراق عام 1991، الذي يطلق عليها (صفحة الغدر والخيانة) لدعم الصراع الشعبي ضدّ الرئيس الراحل صدام حسين من أجل إسقاط نظامه، لكن الأمريكان سمحوا للنظام بتحليق الطائرات المروحية، التي ساعدته لقمع المظاهرات التي تدعمها إيران.

أمّا تصريح الإعلامي السعودي داود الشريان، الذي ذهب إلى أكثر من ذلك بكثير، فقال: «عندما كنت رئيس تحرير صحيفة (مسلمون)، كنّا نوزّع منشورات وهمية مزيفة، مفادها أنّ الجنود العراقيين يعتدون على النساء الكويتيات، ويقيمون حفلات مجون صاخبة في الكويت بعد احتلالها»، ويؤكّد الشريان: «كنّا نعمل ذلك لتشويه سمعة (جيش صدام)»، حسب قوله في المقابلة نفسها، ويسترسل: «إنّ (هذا طبعًا كذب من أجل الحرب النفسية، وهذا الأسلوب والتصرّف يحتاج إلى واحد يعرف يكذب جيدًا».

وقد واجهت هاتين المقابلتين ردود غاضبة وصاخبة من قبل إعلاميين وصحفيين وكتّاب، حتى ظنّ البعض منهم أنّها من ضمن فبركات (الذكاء الاصطناعي) المتاح هذه الأيام؛ لأنّها غير منطقية، وغير معقولة ولا مقبولة من الإعلام السعودي أصلًا، فهو يتصف بالموضوعية والمهنية وتحرّي الدقّة والانضباط في النشر، كما هي سياسة المملكة المتوازنة للتعامل مع الأحداث الساخنة والحروب والأزمات وردود الأفعال.

أعتقد أنّ هاتين المقابلتين ليستا في وقتهما الآن، ونحن نعيش أزمات وصراعات وحروب في المنطقة، وهناك انفلات إعلامي مسعور غير منضبط، ومنصّات إعلامية تتصيّد في الماء العكر، وتبحث في الزوايا المظلمة الشاردة والواردة، كي تدين إعلام وسياسات المملكة، ودول الخليج العربية في هذه المرحلة الحرجة والحساسة التي تعاني من كثرة الهجوم والتشويه والتخوين، والحملات المغرضة الشعواء والعشواء، لا سيما أنّ الشخصين المتحدّثين لهما وزنهما وقبول ومتابعون وقراء، كون الأمير تركي الفيصل عقلية راسخة ومؤثرة، وكان يحمل صفة قيادية في الأمن والدبلوماسية.

كذلك الشريان الذي كان مديراً لهيئة الإذاعة والتلفزيون السعودي، ورئيس تحرير سابق، وكاتب معروف، ومقدّم برامج، وهو الذي تحدّث قبل مقابلته الأخيرة ينتقد بعض الدول (الخليجية) ودعمها للذباب الإلكتروني، وهجومه على إعلام المملكة.

فما عدا ما بدى، وكيف سمح لنفسه الشريان بهذا التصريح غير الموفّق، بل غير مقبول أصلًا في هذه المرحلة الحرجة التي فيها نحتاج إلى أن نلملم الجراح، ونرصّ الصفوف، ونوحّد الكلمة ونعزّز رسالة الإعلام الخليجي ومحتواه، ونترك الماضي ومخلفاته، وليس كلّ ما يُنشر يقال، ولا كلّ ما تعمل فيه الدول في الخفاء في الحروب والأزمات متاحاً، وينشر ويعاد اجتراره خاصةً إذا كان مضرّاً، وكيف أنّ المتحدّث يهاجم الذباب الإلكتروني، ويقول أوقفوا (عسلكم) الذي يتغذّى منه الذباب الإلكتروني المزعوم ويهاجمنا.

والأخ أبو محمد يبدو أنّه تحول إلى (طير ابن برمان... ناقل الأفعى على رأس راعيه)!

أ.هويدا عبد الوهاب
صحافية وكاتبه من مصر

من هنا
وهناك

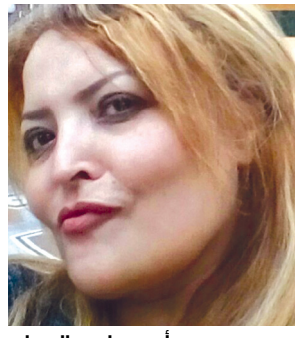

ماكرون والسيسي:
دفء العلاقات المصرية الفرنسية

جددت زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الأخيرة إلى مصر التأكيد على عمق العلاقات التاريخية والاستراتيجية التي تجمع بين القاهرة وباريس، خاصة في ظل حالة التقارب السياسي والإنساني الواضحة بين الرئيس الفرنسي والرئيس عبد الفتاح السيسي والتي انعكست بشكل واضح خلال السنوات الأخيرة في مختلف الملفات السياسية والاقتصادية والثقافية.

وجاء افتتاح المقر الجديد لجامعة سنجور ليحمل دلالات مهمة تتجاوز مجرد افتتاح مؤسسة تعليمية، إذ يعكس حجم الثقة الفرنسية في الدور المصري، ومكانة مصر باعتبارها مركزًا رئيسيًا للتعاون الثقافي والتعليمي في إفريقيا والمنطقة العربية. فالجامعة تُعد واحدة من أبرز المؤسسات الفرانكوفونية بالقارة، واستضافتها وتطويرها داخل مصر يؤكدان المكانة التي أصبحت تحظى بها الدولة المصرية على المستوى الدولي.

لكن اللافت في الزيارة لم يكن فقط اللقاءات الرسمية أو الكلمات الدبلوماسية، بل تلك المشاهد الإنسانية التي خطفت الأنظار خلال جولة ماكرون في الإسكندرية، المدينة التي بدت وكأنها تحمل مكانة خاصة لدى الرئيس الفرنسي.

وكانت جولة الرئيس الفرنسي في شوارع الإسكندرية تحمل طابعًا مختلفًا، إذ بدت أقرب إلى زيارة إنسانية وثقافية لرئيس يستمتع بالتعرف على روح المدينة وتفاصيلها، وليس مجرد زيارة سياسية عابرة. فالإسكندرية بتاريخها العريق، وطابعها المتوسطي، وتنوعها الثقافي، كانت دائمًا رمزًا للتقارب الحضاري بين الشرق والغرب، وربما لهذا السبب بدت الزيارة مفعمة بالدفء والبساطة

ولم تكن هذه المرة الأولى التي يحرص فيها الرئيس الفرنسي على الاقتراب من المواطنين المصريين، إذ سبق أن لفت الأنظار خلال زيارته الشهيرة إلى شارع المعز بالقاهرة التاريخية، عندما تجول وسط الناس مع الرئيس السيسي في مشهد بسيط وعفوي، وهو ما ترك وقتها انطباعًا إيجابيًا واسعًا، ورسخ صورة رئيس يهتم بالثقافة والتراث والحياة اليومية للشعوب.

ومن هنا يمكن الربط بين زيارتي الإسكندرية وشارع المعز، فكلتاهما حملتا رسالة واضحة مفادها أن ماكرون لا يكتفي بالعلاقات الرسمية بين الدول، بل يسعى أيضًا لبناء جسور إنسانية وثقافية مع الشعب المصري، وهو ما منح الزيارة طابعًا مختلفًا وأكثر قربًا.

وفي المقابل، تعكس هذه الزيارات أيضًا حجم العلاقة الخاصة التي تجمع بين الرئيسان السيسي وماكرون، وهي علاقة تقوم على الاحترام المتبادل والتقدير السياسي الكبير.

واستطاع الرئيس السيسي، أن يقود الدولة المصرية نحو مرحلة جديدة من

الاستقرار والتنمية والانفتاح على العالم، وهو ما جعل مصر تحظى باحترام وتقدير دولي واسع، خاصة في ظل دورها المحوري في قضايا المنطقة، وقدرتها على تحقيق التوازن السياسي في محيط شديد التعقيد.

كما أن العلاقات المصرية الفرنسية شهدت طفرة كبيرة في عهد الرئيس السيسي، سواء في مجالات الاقتصاد، أو الطاقة أو النقل أو التعاون العسكري والثقافي، وهو ما يؤكد أن الشراكة بين البلدين أصبحت شراكة استراتيجية متكاملة، لا تقوم فقط على المصالح، بل أيضًا على الثقة والرؤية المشتركة.

وفي النهاية، تبقى مشاهد ماكرون بين المواطنين في الإسكندرية، كما حدث من قبل في شارع المعز، دليلًا على أن العلاقات الحقيقية بين الدول لا تُبنى فقط داخل القاعات الرسمية، بل أيضًا من خلال التقارب الإنساني والثقافي، وهو ما نجحت مصر وفرنسا في ترسيخه خلال السنوات الأخيرة بصورة واضحة وملموسة.

ويبدو الرئيس الفرنسي دائمًا صاحب شخصية بسيطة ومنفتحة، وهو ما يفسر حالة القبول والحضور الشعبي الذي يحظى به خلال زياراته المختلفة، خاصة حين يحرص على الاقتراب من المواطنين والتفاعل معهم بعفوية وود، بعيدًا عن الحواجز الرسمية التقليدية. فهذه البساطة الإنسانية تمنحه صورة مختلفة لدى الشعوب، وتجعله أكثر قربًا من الناس.

والأمر ذاته ينطبق على الرئيس السيسي الذي نجح منذ توليه قيادة الدولة المصرية في بناء علاقة مباشرة وقوية مع المواطنين، تقوم على البساطة والاهتمام الحقيقي بالناس، وهو ما جعله يحظى بحضور شعبي واسع وجاذبية واضحة لدى المصريين.

قواعد صهيونية على حدود الاردن الشرقية

أ.مهند أبو فلاح
كاتب وباحث عربي أردني

كُشِفَ النقاب مؤخراً عن وجود قواعد صهيونية سرية على حدودنا الشرقية داخل الأراضي العراقية، وتحديداً في منطقة صحراء النخيب المتاخمة للأراضي الأردنية في سابقة هي الأولى من نوعها، مما يحمل في طياته مخاطر وتهديدات متعددة للأمن الوطني الاردني.

القواعد العسكرية التي أقامها حكام تل أبيب بحسب التقارير الصحفية الغربية منذ أواخر العام 2024 في محافظة الأنبار غربي العراق تهدف بحسب ما هو معلن لتقديم الدعم اللوجستي للطيارين الصهاينة في خضم أي نزاع مسلح محتمل مع إيران قد ينشب مستقبلاً، لكن وجود القاعدة الصهيونية الأكبر بمحاذاة حدود مملكتنا الحبيبة يدفعنا إلى التوجس ريبةً من نوايا حكومة اليمين الفاشي المتطرف الحاكمة في تل أبيب.

ما يضاعف ريبتنا وحذرنا الواجب اتجاه هذه القواعد الصهيونية هو إمكانية استخدامها وتوظيفها ليس في مواجهة إيران فحسب، بل ضد الأردن نفسه واستخدامها كأداة تجسسية داعمة لأية أعمال إرهابية تشنها عصابات تهريب دولية للمخدرات والسلاح ضدنا في المستقبل القريب، وخاصةً أن هؤلاء في منطقتنا الملتهبة يقف من خلفهم طرفان لا ثالث لهما، أي كل من الدويلة العبرية المسخ من ناحية، وأما الطرف الآخر ويا للمفارقة فهم حكام طهران نفسهم الذين لا يراعون في مسلم إلاً و لا ذمة، كما برهنت على ذلك مجريات الأحداث في سورية و العراق إسوةً بحكام تل أبيب الذين مارسوا التهجير والاحرام بحق شعبنا العربي في فلسطين السليبة منذ عقود طويلة.

إن الموقف السلبي جداً وغير المكترث واللا مبالي الذي اتخذته ميلشيات الحشد الشعبي في العراق الموالية لطهران ازاء مقتل مواطنين عراقيين عسكريين و مدنيين على يد الصهاينة الغاصبين يؤكد على وجه اليقين أن هذه الميلشيات المتدثرة بعباءة المقاومة زوراً و بهتاناً هي أبعد ما تكون عن ذلك، بل إننا نستطيع أن نذهب إلى ما هو أبعد من هذا الأمر، عندما نتحدث عن تعاون سري تحت الطاولة من وراء الستار بين هذه الميلشيات وحكام تل أبيب لتطبيق استراتيجية فكي الكماشة على الأردن في حال حصول محاولة من حكام تل أبيب لتهجير شعبنا في الضفة الغربية المحتلة باتجاه أردننا الغالي العزيز على قلوبنا جميعا، وهو أمر تقف دونه بكل حزم وإصرار قيادتنا الهاشمية الحكيمة و جيشنا العربي المصطفوي، وأجهزتنا الأمنية وشعبنا الحر الأصيل.

لقد بات واضحاً جلياً لدى الجميع أن الأردن الذي تعرض لحملة مسعورة من أطراف معروفة بعلاقتها الوثيقة مع حكام طهران داخل العراق خارجة عن نطاق سيطرة الحكومة المركزية في بغداد على مدار أشهر بل سنوات وصلت إلى حد تجييش الحشود من الغوغاء والرعاع على حدوده الشرقية هو ضحية حملة تشويه إعلامي مبرمجة تهدف إلى النيل من موقفه المبدئي الثابت الراسخ من القضية الفلسطينية، قضية أمتنا العربية المركزية، ولذا فإن الواجب القومي المقدس يحتم على أشقائنا العرب جميعاً مد يد العون والمساعدة لنا في مواجهة هذه التهديدات السافرة لأمن قلعة الصمود العربي الأردن.

بين صلاة البيت الأبيض وأزمات العالم المعاصر:
الـــديـــن، الـــســـيـــاســـة، ووهـــم الـــتـــفـــســـيـــر الـــســـهـــل لـــلـــحـــضـــارة

د. زياد عبد القادر
اكاديمي وباحث عربي

أثار مشهد الصلاة الجماعية التي أُقيمت في محيط البيت الأبيض، بمشاركة مسؤولين أمريكيين وشخصيات سياسية ودينية، نقاشاً واسعاً في العالم العربي والإسلامي. فالبعض رأى في الحدث دليلاً على أن الغرب ما زال معتزاً بدينه وهويته الروحية، بينما اعتبره آخرون مجرد استعراض سياسي يوظّف الدين في سياق انتخابي وشعبوي. غير أن القراءة العلمية والفكرية الدقيقة لهذا المشهد تكشف أن القضية أعمق بكثير من مجرد "صلاة جماعية"، وأن ربط تقدم الأمم أو تراجعها بمستوى التدين الظاهري وحده هو تبسيط مخلّ بالتاريخ والسياسة والاجتماع.

فالولايات المتحدة الأمريكية، رغم حضور الدين القوي في خطابها السياسي والاجتماعي، هي في جوهرها دولة علمانية دستورياً، قامت منذ التعديل الأول للدستور عام 1791 على مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة. وهذا المبدأ لم يكن تفصيلاً قانونياً بسيطاً، بل كان أحد الأسس التي سمحت بتطور المؤسسات الحديثة واستقلال القضاء والجامعات والبحث العلمي. لذلك، فإن السياسي الأمريكي يستطيع أن يدعو إلى الصلاة علناً، لكنه لا يستطيع فرض عقيدة دينية على الدولة أو تعطيل القانون باسم المقدس.

ومن هنا يظهر أول تناقض في قراءة هذا الحدث: فالصلاة في البيت الأبيض لا تعني أن الولايات المتحدة "تحكم بالدين"، بل تعني أن السياسي الأمريكي يدرك أهمية الرمزية الدينية داخل مجتمع متدين بطبيعته. فالرئيس الأمريكي يؤدي القسم على الإنجيل، لكن المحكمة العليا تستطيع إلغاء قراراته، والكونغرس يستطيع مساءلته، والإعلام يستطيع مهاجمته، والناخب يستطيع إسقاطه.

لقد استخدم رؤساء أمريكيون كثيرون الخطاب الديني لتبرير سياساتهم أو تعزيز شعبيتهم. فالرئيس جورج بوش الابن تحدث بلغة دينية بعد أحداث 11 سبتمبر، وقدّم "الحرب على الإرهاب" بوصفها معركة أخلاقية كبرى، بينما انتهت تلك السياسات بحروب كارثية في العراق وأفغانستان خلّفت مئات آلاف الضحايا ودمّرت بنى دول ومجتمعات كاملة. كما استخدم الرئيس ترامب الخطاب المسيحي المحافظ بشكل واسع، رغم أن كثيراً من مواقفه السياسية والاقتصادية لا تعكس بالضرورة قيماً دينية أخلاقية بالمعنى التقليدي

وهنا يبرز السؤال الجوهري: هل التدين السياسي في الغرب يعكس بالضرورة تفوقاً أخلاقياً أو حضارياً؟

الجواب العلمي والتاريخي أكثر تعقيداً. فالولايات المتحدة نفسها التي تنظم فعاليات للصلاة هي الدولة التي استخدمت القنبلة النووية ضد هيروشيما وناغازاكي، وخاضت حرب فيتنام، وغزت العراق بذريعة امتلاك أسلحة دمار شامل ثبت لاحقاً عدم وجودها. وهي أيضاً الدولة التي تتحدث عن حقوق الإنسان بينما تقدم دعماً سياسياً وعسكرياً واسعاً للاحتلال الإسرائيلي رغم الانتقادات الدولية المتزايدة بشأن الانتهاكات بحق الفلسطينيين.

هذا التناقض يكشف أن استخدام الرموز الدينية في المجال العام لا يعني بالضرورة التزاماً أخلاقياً في السياسة الخارجية أو في بنية القوة الدولية. فالدين في المجال السياسي الحديث قد يتحول أحياناً إلى أداة تعبئة جماهيرية أو غطاء أخلاقي لسياسات القوة والمصالح.

وفي المقابل، فإن اختزال أزمة العالم العربي والإسلامي في "الابتعاد عن الدين" لا

يصمد أمام التحليل العلمي أيضاً. فالتاريخ الحديث يثبت أن الأمم تتقدم عندما تبني مؤسسات قوية، وتطلق حرية العقل، وتستثمر في التعليم والبحث العلمي، وتؤسس لاقتصاد منتج، بغض النظر عن مستوى التدين الظاهري.

فاليابان، على سبيل المثال، ليست دولة دينية بالمعنى السياسي، لكنها تحولت بعد الحرب العالمية الثانية من دولة مدمّرة إلى قوة صناعية وتكنولوجية عالمية عبر التعليم والانضباط والبحث العلمي. وكوريا الجنوبية انتقلت خلال عقود قليلة من الفقر والحروب إلى واحدة من أكثر الدول تقدماً في التكنولوجيا والصناعة. والصين الحديثة، رغم نظامها السياسي المختلف جذرياً عن الغرب، استطاعت أن تصبح قوة اقتصادية وعلمية كبرى من خلال التخطيط والاستثمار في الإنسان والتكنولوجيا.

أما في العالم العربي، فإن المشكلة الأساسية لم تكن يوماً في وجود الدين داخل المجتمع، بل في طبيعة الدولة وآليات السلطة وإدارة المعرفة. فبعض الأنظمة رفعت شعارات قومية أو علمانية لكنها مارست الاستبداد وقمعت الحريات، وبعض الحركات الدينية دخلت بدورها في صراعات أيديولوجية أو عنفية أو إقصائية عطّلت تطور المجتمع والدولة معاً.

ومن التناقضات اللافتة أن كثيراً من الخطابات التي تحتفي بالصلاة في البيت الأبيض تتجاهل أن الغرب نفسه لم ينهض إلا بعد تحرير المعرفة من هيمنة المؤسسة الدينية على العلم. فالعالم الايطالي جاليليو جاليلي حوكم بسبب أفكاره العلمية، بينما احتاجت أوروبا قروناً من الصراع الفكري والسياسي حتى تصل إلى نموذج الجامعة الحديثة واستقلال العقل العلمي.

وفي الوقت نفسه، فإن الحضارة الإسلامية نفسها لم تزدهر عندما أغلقت باب الاجتهاد أو حصرت الدين في الطقوس، بل ازدهرت عندما احتضنت الترجمة والفلسفة والرياضيات والطب والفلك. ففي بغداد العباسية والأندلس الإسلامية، عمل علماء مثل: الخوارزمي وابن رشد وابن سينا وغيرهم الكثير، ضمن بيئة معرفية منفتحة نسبياً، جمعت بين الإيمان والعقل والتعددية الثقافية.

إن التقدم الحضاري لا يُقاس بعدد الصلوات الجماعية، ولا بعدد الشعارات الدينية أو العلمانية، بل بمدى احترام الإنسان والعقل والقانون. فالدولة التي تنتج جامعة قوية، وتمنح الباحث حرية التفكير، وتحاسب المسؤول، وتحترم حقوق المواطن، هي الدولة القادرة على صناعة الحضارة، سواء كان مجتمعها متديناً أو أقل تديناً. ولهذا، فإن مشهد الصلاة في البيت الأبيض لا ينبغي أن يُقرأ بعين الانبهار السطحي، كما لا ينبغي رفضه باعتباره نفاقاً كاملاً، بل بوصفه جزءاً من ظاهرة أوسع تتمثل في توظيف الرموز الدينية داخل المجال السياسي الحديث، في وقت أصبحت فيه القوة الحقيقية للأمم تُقاس بالعلم والتكنولوجيا والاقتصاد والمؤسسات، لا بالرمزية الخطابية وحدها.

إن السؤال الحقيقي الذي يجب أن يشغل المجتمعات اليوم ليس: "من يصلّي أكثر؟"، بل: من ينتج معرفة أكثر؟ من يحترم الإنسان أكثر؟ من يبني نظاماً تعليمياً أفضل؟ من يضمن حرية التفكير؟ ومن يستطيع تحويل القيم الأخلاقية إلى عدالة وعلم وتنمية وكرامة إنسانية؟

هناك تبدأ الحضارة، وهناك تُقاس قوة الأمم الحقيقية.

خلاصة القـــــول

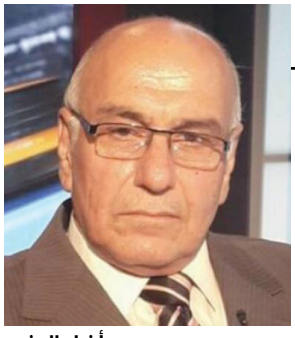

أ.زياد المنجد
كاتب و صحفي عربي من سورية

ترامب...

حين اصطدمت أوهام التغيير بجدار طهران

منذ اللحظة التي أُطيح فيها بالرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو، بدا أن الرئيس الأمريكي دونالد ترامب قد دخل مرحلةً جديدة من الغرور السياسي، معتقداً أن تغيير الأنظمة بات قراراً يمكن توقيعه في البيت الأبيض ثم تنفيذه في أي عاصمة بالعالم، حتى أنه وجّه رسائل مباشرة إلى الشعب الكوبي مع بداية الحرب على إيران، قائلاً لهم: "انتظرونا قريباً".

لكن ما جرى في طهران كان مختلفاً تماماً عن حسابات "التاجر" الذي دخل السياسة بعقلية الصفقات السريعة، فبعد اغتيال المرشد الإيراني وعددٌ من كبار القيادات، اعتقد ترامب أن النظام الإيراني سيسقط خلال أيام، إلا أن إيران لجأت إلى ما تملكه من عناصر قوة عسكرية وجغرافية، فوسّعت دائرة النار نحو الخليج، ولوّحت بإغلاق مضيق هرمز، ودفعت الاقتصاد العالمي إلى حافة الاختناق.

وهنا تبرز الحقيقة التي حاول كثيرون تجاهلها لعقود: نظام طهران لم يتحول إلى قوة إقليمية كبرى من فراغ، بل وجد واستمر ضمن توازنات دولية خدمت الولايات المتحدة وإسرائيل أكثر مما أضرتهما، فمنذ عام 1979 استفادت واشنطن وتل أبيب من الدور الإيراني في تغذية الانقسامات الطائفية داخل العالم العربي، وتحويل الصراع من مواجهة مع إسرائيل إلى صراعات مذهبية وحروب أهلية أنهكت العراق وسوريا ولبنان واليمن.

لقد رفع النظام الإيراني شعارات "المقاومة"، لكنه عملياً ساهم في تفكيك المجتمعات العربية عبر الميليشيات والخطاب الطائفي، وهو ما وفر لإسرائيل بيئةً مثالية للتوسع والهيمنة، بينما وجدت الولايات المتحدة في الفوضى الإقليمية مبرراً دائماً لحضورها العسكري والسياسي.

لكن المفارقة أن القوة التي جرى تضخيمها ورعايتها لسنوات لم تعد اليوم سهلة الاحتواء أو الإنهاء، وأن من صنع الوحش بات عاجزاً عن السيطرة عليه، بعدما تحولت نيران المنطقة إلى تهديد يطال الاقتصاد والاستقرار العالمي بأسره

فتح تختتم مؤتمرها الثامن برسائل وحدة وتجديد

وتمسك بالمشروع الوطني الفلسطيني

أ.وفاء النجار
مدير مكتب كل العرب – فلسطين

اختتمت حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح - أعمال مؤتمرها العام الثامن، في حدث سياسي وتنظيمي وُصف بأنه من أبرز المحطات المفصلية في تاريخ الحركة خلال السنوات الأخيرة، وسط ظروف فلسطينية وإقليمية بالغة التعقيد، تتزامن مع استمرار الحرب على قطاع غزة، وتصاعد الاستيطان والضغوط السياسية والإنسانية على الشعب الفلسطيني.

وانعقد المؤتمر تحت شعار "انطلاقة متجددة... صمود، حرية، استقلال"، بمشاركة واسعة من قيادات الحركة وكوادرها في الوطن والشتات، وبالتزامن بين رام الله وغزة وبيروت والقاهرة، في مشهد عكس حرص الحركة على تأكيد وحدة حضورها السياسي والتنظيمي رغم التحديات الميدانية والظروف الاستثنائية التي تمر بها القضية الفلسطينية.

وأسفرت أعمال المؤتمر عن انتخاب لجنة مركزية ومجلس ثوري جديدين، في إطار عملية انتخابية شهدت حراكًا تنظيميًا واسعًا وتنافسًا داخليًا وصف بالحيوي، عكس تنوع الرؤى والاجتهادات داخل الحركة، فيما أكدت قيادة فتح أن الاختلافات التي رافقت العملية الانتخابية بقيت ضمن الإطار الديمقراطي والتنظيمي الطبيعي، ولم تمس وحدة الحركة أو ثوابتها الوطنية.

وأكدت الحركة في ختام أعمال المؤتمر أن أبناء فتح، مهما اختلفوا في بعض التفاصيل التنظيمية أو التنافس الانتخابي، فإنهم يجتمعون حول فلسطين ووحدة المشروع الوطني الفلسطيني، مشددة على أن المرحلة الراهنة تتطلب أعلى درجات التماسك الداخلي والتكاتف الوطني في مواجهة التحديات الوجودية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني

وشدد البيان السياسي الصادر عن المؤتمر على أن حركة فتح ما زالت تعتبر نفسها حركة تحرر وطني تتحمل مسؤولية الدفاع عن الهوية الوطنية الفلسطينية، وحماية القرار الوطني المستقل، وتعزيز صمود الشعب الفلسطيني في القدس وغزة والضفة الغربية والمخيمات.

وأكد المؤتمر تمسك الحركة بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، داعيًا إلى تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية والحفاظ على وحدة النظام السياسي الفلسطيني في مواجهة أي مشاريع تهدف إلى تكريس الانقسام أو فصل قطاع غزة عن باقي الجغرافيا الفلسطينية.

وفي الملف السياسي، وجه المؤتمر رسائل مباشرة إلى المجتمع الدولي، مؤكدًا أن استمرار الاحتلال والاستيطان والحصار يمثل تهديدًا للاستقرار الإقليمي والدولي، وأن السلام الحقيقي لا يمكن أن يتحقق دون إنهاء الاحتلال وتجسيد الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية.

كما دعا المؤتمر إلى تحرك دولي أكثر فاعلية لوقف الحرب على قطاع غزة، وضمان تدفق المساعدات الإنسانية، والانطلاق نحو إعادة الإعمار ضمن إطار سياسي فلسطيني موحد، مؤكدًا أن غزة "جزء أصيل من الدولة الفلسطينية، ولا دولة دون غزة.

وركز المؤتمر كذلك على القضايا الوطنية المركزية، وفي مقدمتها قضية الأسرى الفلسطينيين، حيث أكد أن معاناتهم داخل السجون الإسرائيلية تمثل جرحًا وطنيًا وإنسانيًا مستمرًا، داعيًا المؤسسات الدولية والحقوقية إلى التدخل لوقف الانتهاكات بحقهم.

وفي ملف اللاجئين، جدد المؤتمر تمسكه بحق العودة ورفض أي محاولات للمساس

بوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا"، معتبرًا أن استهداف الوكالة يمثل استهدافًا مباشرًا لقضية اللاجئين وحقوقهم التاريخية.

أما في القدس، فقد شددت الحركة على أن المدينة ستبقى العاصمة الأبدية لدولة فلسطين، مؤكدة استمرار العمل السياسي والدبلوماسي لحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية والتصدي لسياسات التهويد والاستيطان.

وعلى المستوى التنظيمي، اعتبر مراقبون أن المؤتمر حمل مؤشرات واضحة على توجه الحركة نحو تجديد مؤسساتها وتعزيز مشاركة الأجيال الشابة والمرأة في مواقع القرار، إلى جانب إطلاق مسار إصلاحي داخلي يهدف إلى تطوير الأداء التنظيمي والسياسي للحركة خلال المرحلة المقبلة.

كما حظي المؤتمر بتفاعل واسع عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي، حيث تصدرت أخبار المؤتمر ونتائج انتخاباته المشهد السياسي الفلسطيني خلال الأيام الماضية، وسط اهتمام بقراءة دلالات التغييرات التنظيمية ورسائل الحركة السياسية الداخلية والخارجية.

وفي ختام المؤتمر، دعت قيادة الحركة أبناء فتح إلى تجاوز آثار التنافس الانتخابي، والحفاظ على وحدة الحركة وصورتها الوطنية، مؤكدة أن "الفائز الحقيقي هو فلسطين ووحدة شعبها"، وأن المرحلة المقبلة تتطلب المزيد من العمل المشترك لحماية المشروع الوطني الفلسطيني وتعزيز صمود الشعب الفلسطيني على أرضه.

ويرى متابعون أن المؤتمر الثامن لحركة فتح لم يكن مجرد استحقاق تنظيمي داخلي، بل محطة سياسية حملت رسائل واضحة إلى الداخل الفلسطيني والعالم، مفادها أن الحركة تسعى إلى إعادة ترتيب بيتها الداخلي، وتجديد مؤسساتها، والحفاظ على موقعها كأحد الأعمدة الرئيسية للمشروع الوطني الفلسطيني في واحدة من أكثر المراحل حساسية وتعقيدًا في تاريخ القضية الفلسطينية.

أوطـانـنـا و مـرضـى الـدجـل الإيـرانـي

أ.فوزية رشيد
كاتبة وروائية من البحرين

في العموم أي تطرف فكري أو عقدي أو سلوكي هو مرض يحتاج إلى علاج...فاذا وصل المرض الفكري أو العقدي إلى حد خيانة الانسان لوطنه وشعبه وأهله، والتفريط في أمن واستقرار بلده فان مرضه تحول إلى (مرض عضال) يحتاج إلى الاستئصال! وليس هناك ما هو أكثر تطرفاً وخبثاً من فكر ولاية الفقيه، ومن التبعية العمياء للموالين له، بعد أن حول النظام الثيوقراطي للملالي أطماع إيران التوسعية وسياساتها الخبيثة، إلى معتقد ألبسته الملالي القدسية! وإختطفت مدرستهم وتعاليمها الخبيثة جزءاً من الشيعة العرب وربما كثيراً منهم، من معتقدهم الشيعي السابق، إلى ما هو أكثر تطرفاً من مجرد الاختلاف المذهبي مع «أهل السنة» إلى إلباس (السياسة الاستعمارية الإيرانية الحالمة بعودة إمبراطوريتها القديمة) بلباس المذهبية وتيار الولاء للولي الفقيه باعتباره معصوماً، ولا سند ديني في ذلك! وباعتباره نائب صاحب الزمان أو «المهدي المنتظر» حسب المعتقد الشيعي، ولا سند ديني أيضاً في ذلك.

الولي الفقيه يقود عبر أتباعه والموالين له مشروع إيران في التمدد والتوسع والهيمنة وما على أولئك الأتباع إلا أن يتحولوا دون تفكير وبتبعية عمياء إلى مجرد أدوات لتنفيذ ذلك المشروع بخيانة الوطن والدولة والقيادة والشعب في البلد الذي يتواجد فيه! لأن أولئك (الأتباع المغيبون عن الوعي بشكل كامل) لا يملكون قدرة التفريق بين المذهب كمذهب والمرجعية كمرجعية دينية وبين ولاية الفقيه التي اختطفت وليها أو مرشدها الأعلى المذهب والمعتقد والمرجعية من أجل غايات وأطماع قومية وسياسية استعمارية! وضخ في عقول أتباعه عبر المناسبات والحسينيات والسياحة الدينية والدراسة في إيران، ضخ في عقولهم كل آليات التبعية المطلقة وتحويلهم إلى أدوات باسم القدسية والمظلومية المخادعة، لبث الفتنة والعنف والإرهاب والكراهية في أوطانهم، وبذلك تكون إيران قد زرعت (مرضاها الفكريين والقديين) في الأوطان العربية لتخريبها من الداخل! وهذا ما جعلها وبخبث شديد، تتدخل في الشؤون الداخلية ليس بايديولوجيا سياسية أكسبتها قدسية المعتقد وفقط، و(إنما تتدخل بجعل خيانة الوطن لدى أتباعها أصلاً من أصول الولاء المذهبي لنظامها ولمرشدها الأعلى وبحصانة غريبة وفريدة من نوعها من حيث إكسابه المعصومية ونيابة المهدي المنتظر لهم)!

الغريب أن من يتولى زرع هذا النمط من الولاء للخارج أو لإيران على حساب الولاء الطبيعي والبديهي للوطن هم قادة من قيادات الفكر المذهبي الشيعي، الذين توغلوا في المجتمعات الخليجية ومنها البحرينية عبر الجمعيات الدينية والمؤسسات الخيرية والمآتم والحسينيات، التي تزداد أعدادها ومناسباتها مع السنوات لتصل إلى الآلاف، وبما لا يتناسب مع التعداد السكاني، وحيث شعارات الحرية والديموقراطية والخصوصية هي الغطاء الذي تم إكسابه مشروعية القيام بأي طقوس أو ممارسات غريبة أو خطابات تبث الكراهية والفتنة بين مكونات المجتمع، بل والمغالاة في غسل أدمغة الأطفال، ليصبح ذلك الخطاب وتلك

الممارسات والطقوس جزءاً من تكوينهم السيكولوجي والفكري الدائم بوهم أنه هويتهم وخصوصيتهم المذهبية، وحيث الولاء لولاية الفقيه هو الامتداد الطبيعي لوجودهم حسب هذا الفكر المريض! وكل ذلك يتم عن وعي ودراية من القيادات الشيعية السياسية والقيادات الفقهية والدينية التابعة لإيران الولي الفقيه.

الطفل الذي تربى على مظلومية تاريخية ومعاصرة مدعاة، لن يشعر بالطبع حين يكبر بالانتماء الحقيقي سواء لوطنه أو لشعبه أو لهويته العربية، بل ولا يشعر حتى بأي تأنيب ضمير وهو يخون وطنه لحساب بلد خارجي طامع في بلده، ويمارس كل الإفساد والتخريب في عقله وهويته وانتمائه! حتى يتحول «التابع» الى (أسير فكري مريض) يتغذى مرضه المتفاقم على المناسبات الشيعية الكثيرة، وعلى الشعارات وعلى خطابات الكراهية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر! فاذا ما أصبح هذا «الأسير الفكري المريض» بعد ذلك عميلاً للحرس الثوري، وأداة إرهاب وعنف في إحدى الخلايا أو في ميليشيا من ميليشيات الحرس الثوري في بلده، كان ذلك مصدر فخر واعتزاز «للمريض بالمعتقد الإيراني»! وبذلك يكون التطرف والمرض، قد وصل الى أن يكون مرضاً عضالاً لا ينفع معه حتى الصدمات الكهربائية أو الكي وإنما الاستئصال من المجتمع! خاصة استئصال الرؤوس الفكرية التي تقود السياسة الإيرانية الطامعة والتخريبية عبر الغطاء المذهبي في مجتمعاتها!

وهذا تحديداً ما بدأ يتضح مؤخراً في العديد من الإجراءات التي تم إتخاذها في البحرين والكويت والامارات وقبل ذلك في السعودية، لأن «المرض الفكري الإيراني» بات يهدد الجسد الوطني لكل دولة خليجية وعربية تهديداً مباشراً وخطيراً، مثلما يهدد الجسد الخليجي والعربي، في مرحلة خطيرة على المستوى الجيوستراتيجي خليجياً وإقليمياً وعربياً، خاصة حين يتم إلباس خبث السياسة التوسعية الإيرانية لباس القدسية والمعصومية، تحت غطاء المذهب والطائفية، مدعوماً بالمرويات الكاذبة والأساطير والخرافات، ليدافع أبناء العرب المختطفة عقولهم عن نوايا الاستعمار الإيراني العرقي والعنصري قومياً، للهيمنة على الخليج والبلاد العربية! بل ويتحولوا إلى أدوات تنفيذ للمشروع التوسعي الإيراني!

في الصميم

أ.علي الزبيدي
صحفي من العراق

بترايوس والمهمة الجديدة في العراق

شكلت عودة الجنرال الامريكي ديفيد بترايوس المدير السابق لوكالة الاستخبارات الامريكية الى العراق محطة لتجاذبات المسؤولين العراقيين ووكالات الاخبار المحلية والدولية فالجنرال الذي سبق له ان عمل في العراق من 2003 الى 2009 يمتلك تصور كامل عن الساحة العراقية وتعقيداتها السياسية والاثنية وطبيعة النظام السياسي التحاصصي فيه.

ومن خلال ما ترشح من تصريحات المسؤولين فإن زيارة بترايوس تأتي ضمن عملية التأييد التي أعلنتها الولايات المتحدة الامريكية ومن خلال الرئيس ترامب لرئيس الحكومة الجديد علي الزيدي وقد أفصح العديد من المسؤولين عن طبيعة زيارة بترايوس فهو يسعى لتشكيل وزارة أمنية جديدة تضم الشرطة الاتحادية وشرطة الحدود والحشد الشعبي والبيشمركة ونزع سلاح الفصائل الاخرى الرافضة لذلك بالطرق التي يتطلبها الموقف.

الجنرال الامريكي التقى رئيس مجلس القضاء الاعلى ورئيس البرلمان وشخصيات أمنية اخرى لم يكشف النقاب عنها لكن الزيارة التي لم يعرف أحد الى وقت كتابة هذا الموضوع متى تنتهي وماهي النتائج المتمخضة عنها فأمريكا بعد أن أعلنت استياءها صراحة من تدخل عدد من الفصائل المسلحة العراقية بالحرب الى جانب إيران وأستهدفت المصالح الامريكية داخل وخارج العراق ترى بات لازما عليها ان تمارس ضغطها على الحكومة العراقية بنزع سلاح تلك الفصائل ومنعها من تولي مناصب وزارية في الحكومة الجديدة وتحجيم دورها وقطع صلتها بإيران.

السؤال هنا هل يستطيع الجنرال بترايوس النجاح في مهمته الجديدة هذه والمعقدة ويتمكن من تشكل الوزارة المعنية التي تضم تلك التشكيلات الامنية وما هو شكل وطبيعة العلاقة التي ستجمع هذه الفصائل وهي من اتجاهات متعددة وولاءات هي الاخرى متعددة ايضا وعقائد عسكرية مختلفة؟

لقد نجح الجنرال بترايوس سابقا في تشكيل الفصائل العشائرية المسلحة التي وقفت بوجه القاعدة في العراق لكن الامر باعتقادي اليوم هو غير الامر في العام 2003 وما بعده ولكن تبقى الضغوط الامريكية على الحكومة العراقي من خلال العديد من الوسائل قد تكون عامل مساعد في تشكيل تلك الوزارة وإنهاء موضوع السلاح خارج سيطرة الدولة بأقل الخسائر البشرية والاقتصادية فالعراق اليوم يعاني من اقتصاد أحادي الجانب وريعي نتيجة إعتماده على مبيعات النفط بحدود 95 بالمائة منه وتأثره بشكل كبير بغلق مضيق هرمز وتراجع صادرات النفط العراقية كلها عوامل قد تساعد الجنرال بترايوس في إتمام مهمته الجديدة.

أسطول الصمود يعري «ديموقراطية» الاحتلال

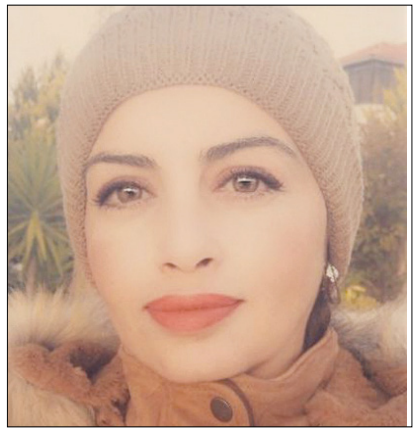

أ.غادة موسى حلايقة
عضو اتحاد كتاب الاردن

فلسطين منذ ما يقرب من ثمانية عقود وهي ترزح تحت حصارٍ خانق، وعزلة عن جيرانها العرب، ليس هذا فحسب، بل كانت تمارس على الشعب الفلسطيني كافة أشكال التعذيب والترهيب دون رادع لإجرام الكيان، وعلى مرأى ومسمع العالم الذي لم يلتزم الصمت فحسب، بل كان يزيف الحقائق والأحداث، إضافةً لتزييفٍ للتاريخ الذي يصرخ بأحقية الشعب الفلسطيني على أرضه، عوضاً عن هذا فقد دعموا الرواية الصهيونية المزيفة، والتي يدعون فيها بحقهم على أرض فلسطين منذ آلاف الأعوام، مستندين إلى نصوص مزيفة زعموا بأنها مقدسة واردة بين طيات العهد القديم، في المقابل كان هناك مجموعة من الأحرار حول العالم لم تنطلي عليهم تلك الأكاذيب، وقاموا بتنظيم مجموعة من الأساطيل البحرية لكسر الحصار عن الفلسطينيين وخاصةً في قطاع غزة، ومن أوائل تلك الأساطيل أسطول الحرية الذي انطلق عام 2010، لكن الكيان هدد باستخدام القوة لردع الأسطول، وبالفعل قام باعتراضه وقتلت وجرحت مجموعة من الأحرار المتوجدون على متن الأسطول.

لم تتوقف المحاولات عن تنظيم الأساطيل برغم هذا الاعتداء، بل تم تسيير أسطول الحرية 2 و3 وغيرها، وإبان السابع من أكتوبر رأى العالم الكيان الصهيوني على حقيقته، ولم تعد تنطلي الأكاذيب الإعلامية التي تطلقها كبرى الشبكات الإعلامية حول العالم على الشعوب الحرة، وتعالت الأصوات المنددة بجرائم الكيان الصهيوني، والمطالبة بوقف المجازر والحصار، ولم يتوقف الأمر هنا، بل خرجت الشعوب في كل بلاد العالم إلى الطرقات لمطالبة دولهم بالتوقف عن دعم الصهاينة، إضافة إلى محاولة إرسال كل الدعم بشتى الطرق للشعب الغزي المكلوم والمحاصر، ومن هذه الطرق تنظيم الأساطيل التي كان آخرها (أسطول الصمود).

أسطول الصمود

اسطول الصمود ليس مجرد مجموعة من القوارب والسفن التي تم تنظيمها لتعبر المياه الإقليمية وعلى متنها المساعدات والناشطون الداعمون للشعب الفلسطيني داخل القطاع، بل كان صرخة إنسانية أطلقها النشطاء المشاركون على متن هذا الأسطول من كافة أنحاء العالم، ومن جنسيات مختلفة حملوا الرسالة دون أن يعيروا التهديدات الإسرائيلية لثنيهم عن فعلتهم أي اهتمام، هذا الأسطول الذي انتهت رحلته بمشاهد عنيفة عزَّت الجميع، هذه النهاية التي كشفت عن هشاشة القانون الدولي المزعوم، وزيف شعارات التحضر والحرية والديمقراطية التي تدعيها الدول الغربية، فانطلقت صرخات المقهورين حول العالم يتسائلون فيها عن حقوق الإنسان والسيادة والعدالة، وعن الحدود المعمول بها لاستخدام القوة؟!.

حيث أن أسطول الصمود بعد هذه النهاية تحول إلى رمز للصراع بين إرادة الشعوب المقيدة والمحاصرة في كل مكان، والمحاولات المستميتة لقهرها وإخضاعها بشتى الطرق والسبل اللاإنسانية.

أسباب انطلاق أسطول الصمود.

بعد انتهاء العدوان على قطاع غزة إبان تسليم الأسرى، لم يلتزم الكيان كعادته لا بوقف إطلاق النار، ولا بفك الحصار المفروض على الشعب الغزي، ونتيجةً للوضع المأساوي الذي يعيشه المواطن الغزي نتيجةً لتعثر الحلول السياسية، ارتأت منظمات حقوقية ومدنية من كافة أرجاء العالم للبحث عن حلول لكسر العزلة والحصار المفروضين على سكان القطاع، ومن هنا انطلقت شرارة تشكيل الأسطول مجدداً للفت أنظار العالم إلى حجم المعاناة التي يعيشها شعب غزة المحاصر، لكن الهدف الحقيقي لتشكيل الأسطول فهو تحدي الحصار نفسه والشرعية التي وضعها الكيان النازي لهذا الحصار لتعريته وإحراجه أمام الرأي العام العالمي، وهكذا كان، فقد اكتسبت الأساطيل المسيرة إلى القطاع بعداً رمزياً؛ لأنه كان على متنها مجموعة من النشطاء من جنسيات وديانات وثقافات مختلفة، وكان شعارهم:

"الغذاء والدواء والحرية ليست امتيازات سياسية، بل حقوق لكل البشر".

انطلق أسطول الصمود وسط اهتمام شعبي واسع، وتغطية إعلامية منقطعة النظير، وكانت السفن تضم مجموعة من الأطباء والصحافيون، إضافة لمجموعة من المتطوعون الذين حملوا رسائل التضامن مع المساعدات الإنسانية، وكانت الانطلاقة

الفعلية للأسطول رفضاً للصمت العالمي للمعاناة التي يعيشها سكان غزة المحاصرون.

بدأت التهديدات تتوالى على الأسطول منذ بداية انطلاق الرحلة، وصلت التهديدات إلى استخدام القوة للحيلولة دون وصولهم إلى وجهتهم، وعلى الرغم من كل هذا استمر الأسطول يتقدم في رحلته، وتم الاعتداء عليهم في عرض البحر الذي غير مسيرة الحدث برمته، فقد تم اعتراض الأسطول باستخدام قوات مدججة بالسلاح، حيث اشتعلت المواجهات الذي أسفرت عن إطلاق النار واعتقال المتواجدون على متن السفن، هذا الأمر حولها من رحلة إنسانية إلى أزمة دولية؛ فالمشاهد والصور الخارجة من الأسطول بعد الاقتحام كانت حرفياً صادمة للرأي العام العالمي، مدنيون في مواجهة قوات مسلحة، ناهيك عن حالة الفوضى والرعب الذي خلف جرحى ومعتقلون على متن سفن إنسانية في عرض البحر، مشاهد أشعلت غضباً واسعاً في أرجاء العالم، الأمر الذي دعى الحكومات والمنظمات الدولية إلى الإسراع في إصدار بيانات التنديد والإدانة، مطالبين بإجراء تحقيقات حول ما حدث.

شكل هذا الاعتداء نقطة تحوُّلٍ غاية في الأهمية في نظرة شعوب العالم إلى القضية الفلسطينية والحصار المفروض على القطاع بشكلٍ خاص، فبينما كانت القضية الفلسطينية مجرد ملف سياسي معقد حتى وقتٍ قريب، تحولت إبان الاعتداء إلى قضية إنسانية مرتبطة بحرية العمل الإنساني وحقوق المدنيين.

ومن أكثر الجوانب المثيرة للجدل في هذا الاعتداء مسألة القانون الدولي؛ حيث أن القانون البحري الدولي يمنح حمايةً خاصة للسفن المدنية، ناهيك عن العمل الإنساني التي يُفترض أن يحظى بضمانات لمنع التعرض له أو استهدافه، لها فإن الاعتداء على أسطول الصمود -من وجهة نظر الحقوقيون حول العالم- شكل انتهاكاً للمباديء الأساسية في القانون الدولي، خاصةً بعد استخدام القوة المفرطة ضد النشطاء على متن السفن في الأسطول، الأمر الذي أعقبه مزيد من التساؤلات حول مشروعية وقانونية الحصار المفروض على القطاع نفسه.

ختاماً..

الاعتداء على أسطول الصمود لم يكن الأخير، كما أن أسطول الصمود لم يكن الأول، ورغم كل هذا الترهيب إلا إن مسيرة الأساطيل لن تتوقف هنا، فالعالم وأحرار العالم قد تحرروا فعلياً من الرواية المزيفة حول شرعية الكيان، وجاء وقت العمل، العالم بأسره يزداد اشتعالاً لكسر الحصار، ولن يهدأ حتى يتم كسر من فرض الحصار، نهايته بدحر الاحتلال من وجه الشعب الذي تحمل الحصار والدمار والموت، والأرض التي تشبعت من دماء شعبها.

أ.معتز فخرالدين
كاتب لبناني

اليومية، وعلى فرص الشباب، وعلى البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع

ثم جاءت المواجهات الأخيرة مع إسرائيل لتعيد الجنوب إلى مشاهد الدمار والنزوح والخوف، وكأن لحظة التحرير الأولى لم تُترجم إلى استقرار دائم، بل إلى دورة جديدة من الانكشاف المتكرر، وهكذا بدا أن الدولة اللبنانية، في كل مراحلها، تقف عاجزةً أمام حماية مواطنيها، أو فرض سيادتها الكاملة.

ولا يكتمل فهم هذا المسار من دون وضعه في سياقه الإقليمي والدولي الأوسع، فلبنان لم يكن يوماً جزيرة معزولة عن توازنات المنطقة، بل كان دائماً ساحة تتقاطع فيها الصراعات الكبرى، فاستمرار التهديد الإسرائيلي جنوباً، وما يرافقه من دورات تصعيد متكررة، شكّل عنصر ضغط دائم على البنية اللبنانية الهشة، وأبقى حالة الاستثناء الأمني والسياسي قائمةً حتى بعد الانسحاب عام 2000.

كما أن الانهيار اللبناني لا يمكن فصله عن التحولات الإقليمية الكبرى، خصوصاً منذ الحرب في سوريا وتراجع أنماط التوازن العربي التقليدي، ما جعل لبنان أكثر انكشافاً أمام صراعات تفوق قدرته على الاحتواء، وفي هذا السياق، جاء انفجار مرفأ بيروت عام 2020 بوصفه لحظةً كاشفة لا فقط لحجم الفساد والإهمال، بل لعمق اختلال الدولة ككل، حيث انهارت الثقة بالمؤسسات بصورة شبه كاملة.

أمام هذا المشهد المركّب، برزت في النقاشات الفكرية والسياسية فكرة "الحياد الإيجابي" أو "النأي بالنفس الموسّع" كخيار نظري لمحاولة إخراج لبنان من منطق الاصطفافات الإقليمية الدائمة، غير أن هذا الخيار، رغم وجاهته النظرية، يصطدم ببنية داخلية غير مكتملة السيادة من جهة، وببيئة إقليمية مضطربة من جهةٍ أخرى، ما يجعل تطبيقه مرهوناً بإعادة تعريف جذرية لدور الدولة قبل أي تسوية سياسية.

غير أنّ نقد هذه التجربة لا يعني تبنّي رواية خصومها، أو إنكار حق الشعوب في مقاومة الاحتلال، بل محاولة لفهم التحول العميق في معنى المقاومة نفسها، فالفكرة التي تنطلق من حماية الوطن تفقد معناها حين يتحول الوطن ذاته إلى ساحة استنزاف مفتوحة، وحين تصبح الدولة أضعف من أن تحمي مجتمعها أو تحدد خياراته.

لقد كشفت التجربة اللبنانية أن فائض القوة لا يصنع دولةً مستقرة، وأن الشرعية التي تُكتسب في لحظة التحرير يمكن أن تتآكل إذا لم تتحول إلى مشروع دولة متكامل، كما كشفت أن المجتمعات لا تستطيع العيش طويلاً داخل منطق التعبئة الدائمة، بل تحتاج إلى الاستقرار والمؤسسات والاقتصاد كشرط أساسي لاستمرارها.

وهكذا يقف لبنان اليوم أمام مفارقة تاريخية قاسية: بلد احتفل بالتحرير، لكنه يجد نفسه في لحظة لاحقة أمام سؤال وجودي لا يقل خطورةً عن سؤال التحرير نفسه: كيف تُستعاد الدولة قبل أن يبتلع الانهيار ما تبقّى منها؟

مضيق باب السلام «هرمز»

الـــحـــرب عـــلـــى سلاســـــل الـــتـــوريـــد...

أ.د. غسان الطالب
أستاذ جامعي وباحث إقتصادي

نشهد اليوم حالةً من الاضطراب الاقتصادي يمر بها العالم بسبب حالة عدم الاستقرار السياسي التي تسببت بها الحرب الصهيونية الأمريكية بعد أن انتهت بإغلاق ما يسمى بمضيق «هرمز»، والذي يُعتبر شريان العالم الاقتصادي؛ حيث يعبره ما يزيد على 25% من استهلاك العالم من النفط والغاز، عدى عن البضائع والسلع الأخرى التي تمر دخولاً أو خروجاً منه إلى مختلف دول العالم، والتي تعرف بـ(سلاسل التوريد)، والتي يمكننا أن نستعرض بعض آثارها على الاقتصاد العالمي والإقليمي بشكلٍ خاص وعلى النحو التالي:

التأثير على إمادات الطاقة من نفط أو غاز، والمتجهة إلى أنحاء مختلفة من العالم، حيث تسبب هذا الإغلاق حتى في حالة كونه إغلاقاً جزئياً في فقدان حوالي 120 مليون متر مكعب من الغاز، أي ما يعادل 15% من الإمدادات المخطط لها للعام 2026.

ارتفاع هائل في تكاليف التأمين والشحن على كافة السلع والبضائع التي كان من المقرر لها المرور من المضيق لارتفاع المخاطرة بسبب الحرب، أو تغيير مسارات الشحن والبحث عن طرق أخرى، فعلى سبيل المثال لو اتجهت السفن أو وسائل النقل البحرية إلى طريق رأس الرجاء الصالح فإن ذلك يضيف من 10 إلى 14 يوماً إلى مدة الرحلة، ويُكلّف حوالي مليون دولار إضافية من الوقود لكل سفينة، وهذا ينعكس بكل تأكيد ‘على أسعار السلع التي تنقلها هذه السفن

ارتفاعاً كبيراً كذلك في أسعار الطاقة في أرجاء مختلفة من العالم، خاصةً في أوروبا وأمريكا.

التأثير المباشر على بعض سلاسل التوريد المتعلقة بالمواد الغذائية والسيارات وكافة العناصر المتعلقة بالصناعات الإلكترونية ويؤخر وصولها، فهذا الاضطراب في حركة الشحن قد يؤخر وصول مكونات أساسية للصناعات عامةً لاعتمادها على سلاسل توريد للاستمرارفي الإنتاج، فأي تأخير في وصول مستلزمات الإنتاج قد ينعكس على الإنتاج العالمي بشكلٍ عام، ناهيك عن ازدحام سفن الشحن الراسية في موانىء الخليج العربي، حيث تشير التقديرات لشركة «كلاركسونز ريسيرش» عن وجود أكثر من 3200 سفينة متوقفة في هذه الموانىء.

ثم أن الإغلاق يهدد بعرقلة وصول حوالي 36% من تجارة الأسمدة إلى الدول النامية، وهذا يهدد الأمن الغذائي لهذه الدول حسب منظمة الأغذية والزراعة العالمية «الفاو»، مما يتسبب في ارتفاع أسعار المواد الغذائية فيها.

والتأثير المهم والمباشر يتمثل في تراجع الصادرات لأقطار الخليج العربي، مع تراجع الإنتاج، مع حالة ترقبٍ وحذر لنهايات هذه الحرب.

إغلاق المضيق يُنظر إليه من زاوية مرور إمدادات الطاقة «النفط والغاز»، لكن العنصر الأخطر في ذلك هو التهديد المباشر للأمن الغذائي العالمي

كل هذه العوامل شكلت صدمة غير مسبوقة على الاقتصاد العالمي، خاصةً فيما يعني سلاسل التوريد من وإلى العالم، وأن العبث في أمنها سيؤدي حتماً إلى اختلال في مسارات الاقتصاد العالمي، وما يلي ذلك من تراجع في مستوى الإنتاج وارتفاع لمعدلات التضخم مع شح في السلع الضرورية، وقد نشهد حالات إفلاس للعديد من المشاريع والشركات الكبرى، وعليه فإن إغلاق المضيق كلياً أو جزئياً يعتبر من أخطر العوامل التي تهدد سلاسل الإمداد نحو العالم، ليس فقط في منطقة الخليج العربي والإقليم، بل في مختلف دول العالم، وفي أهم القطاعات في مجال الطاقة والغذاء والدواء.

إن استمرار إغلاق المضيق يُنظر إليه من زاوية مرور إمدادات الطاقة «النفط والغاز»، لكن العنصر الأخطر في ذلك هو التهديد المباشر للأمن الغذائي العالمي، والذي يهدد حياة الملايين من البشر، وذلك من خلال تهديد إمدادات الأسمدة العالمية، إذ يمر عبر مضيق «هرمز» نحو 16 مليون طن سنوياً من شحنات الأسمدة، وهذا يمثل حوالي الـ30% من إمدادات العالم، مما سيقود حتماً إلى مستوى غير مسبوق من التضخم في أسعار المواد الغذائية من الإنتاج الزراعي، وهذا ما دفع بالعديد من بلدان العالم في البحث عن مصادر أخرى للأسمدة، ثم اللجوء لسياسات تخزين استراتيجية للحبوب والأسمدة، فأزمة إغلاق المضيق لم تعد حدثاً سياسياً عابراً، بل حدثاً اقتصادياً بكل أبعاده يهدد سلامة واستقرار سلاسل التوريد العالمية، ولن تكون آثاره على دول المنطقة فقط، بل يتعدى ذلك إلى اقتصاد العالم مشكلاً أزمة حرجة لن يتعافى منها الاقتصاد العالمي في المدى القصير كما يتوقع البعض.

ما يمكننا قوله أن أزمة إغلاق مضيق «هرمز» أدخلت العالم في أزمة طاقة وأزمة غذاء؛ حيث دفعت بالعديد من دول العالم بالتفكير الجدي لإعادة قراءة سياساتها المتعلقة بالطاقة وبسلاسل التوريد،

وجعلها تسعى لتنويع مصادرها، ثم زيادة مستوى الاحتياطات الاستراتيجية لديها تجنباً لأي طارىء قد يفاجئها، كما هو الحال في إغلاق مضيق «هرمز»، كما وتحاول هذه الدول البحث عن البديل المحلي من خلال مضاعفة الجهد والتنقيب عن مصادر طاقة محلية.

إذاً نحن أمام أزمة ثلاثية الأبعاد تطال الاقتصاد العالمي، وتجعل منه شريكاً في تفاصيل هذه الأزمة، وتتمثل في:

أزمة التضخم والركود المتمثلة في ارتفاع أسعار الطاقة الذي انعكس على زيادة كلفة الإنتاج والنقل، وزاد من الضغوط التضخمية، مما أعاد للعالم شبح الركود الاقتصادي.

أزمة سلاسل التوريد التي ضربت العديد من القطاعات ومستلزمات الصناعة من المواد الخام ومختلف السلع، خاصةً قطاع المواد الغذائية والأدوية.

أزمة الطاقة من نفط وغاز، خاصةً تلك المتجهة للأسواق الأوروبية والصين.

يمكننا القول بأن النظام الإيراني لم يخفي طموحه والرغبة في استخدام ورقة مضيق «هرمز» كورقة ضغط اقتصادية تهدف أولاً إلى ابتزاز أقطار لخليج العربي، وهذا ما يفسره السلوك الإيراني بتوجيه أكثر من 70% من هجماتها الصاروخية والمسيرات على دول الخليج العربي، بينما عدوها الوهمي الكيان الصهيوني لم ينله سوى 30% من هذه الهجمات، والهدف هو إيصال رسالة لدول الخليج العربي بأن الملاحة في مياه الخليج العربي والمرور من مضيق «هرمز» سيبقى تحت سيطرتها، وهو جزء مهم من مكون أمنها القومي.

مما لا شك فيه أن اقتصادات أقطار الخليج العربي أصبحت تواجه ضغوطاً كبيرة على إثر إغلاق المضيق، خاصةً في قطاع الطاقة والنقل البحري والجوي، حيث انعكس ذلك على قطاع التجارة وقطاع الاستثمار، خاصةً بعد أن تعرضت هذه الدول لهجمات صاروخية وبالطائرات المسيرة، مما تسبب بأضرار كبيرة في منشآت الطاقة لديها، وحسب وكالة الطاقة الدولية أن أكثر من «80 منشأة تعرضت للقصف، وأن أكثر من ثلث هذه المنشآت تعرض لأضرار شديدة»، في عموم دول مجلس التعاون الخليجي، فأقطار الخليج العربي بدأت تفكر جدياً بالبحث عن بديل لمضيق «هرمز»، كما فعلت العربية السعودية على الاعتماد على خط الأنابيب المسمى (شرق-غرب) حتى ميناء نويبع على البحر الأحمر، لكن هذا غير كافي لتصدير كافة طاقتها الإنتاجية، وماذا بوسع الأقطار الأخرى أن تعمل مثل الكويت والعراق والبحرين وقطر التي لا تملك البديل للمضيق، لكن إيجاد بدائل له في حال استمر الإغلاق يتطلب وقتاً طويلاً وجهداً سياسياً للتوفيق بين جميع الأطراف المتضررة من إغلاق هذا المضيق.

في ظل هذا الواقع الذي فرضته الحرب الأمريكية الصهيونية الإيرانية على الاقتصاد العربي، خاصةً في أقطار الخليج العربي، فقد أصبح التكامل الاقتصادي العربي مطلباً قومياً ملحاً بعيداً عن التبعية المطلقة للنظام الرأسمالي المتوحش الذي تقوده أمريكا لتمرير المشروع الصهيوني فوق أرضنا العربية، فأمتنا تمتلك كافة الإمكانات والمقومات لتحقيق التكامل المنشود، والنهوض بالاقتصاد العربي ليكون على مستوى التحديات التي تواجه الأمة.

ومن المهم أن تلجأ أقطار الخليج العربي إلى إيجاد مظلة عربية خليجية تحقق المصالح الاقتصادية لها وتدافع عن أمنها القومي، وأن تسعى كذلك لقيام التكامل الاقتصادي العربي الذي يمثل قوةً اقتصادية داعمة لها، ويجعل منها وبقية الأقطار العربية قوةً اقتصادية عملاقة يبعدها عن التكتلات السياسية والاقتصادية المشبوهة، والعودة عن خيارات الابتزاز التي قادت بعضها للتطبيع مع الكيان المحتل لفلسطين العربية.

أللهم اشهد... أللهم اشهد

نـــظـــريـــة الـــلـــعـــبـــة ومـــخـــرجـــات الـــصـــراعـــات والـــحـــروب الـــدولـــيـــة

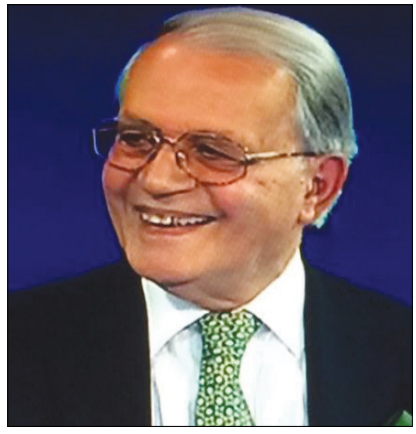

أ.د. مازن الرمضاني
استاذ العلوم السياسية
الدولية ودراسات المستقبلات

لاستشراف مضامين العلاقة بين صناع القرار خلال أزمنة الصراعات والحروب، تم طرح مقاربة مهمة ذات مضامين رياضية بالأساس، هي نظرية اللعبة (Game Theory)، أو نظرية المباراة كما تسمى أيضاً، مقالنا هذا ينصرف إلى التعريف بهذه النظرية من جوانب متعددة؛ لأهميتها النظرية والعملية.

لغوياً، يفيد مفهوم اللُعبة (Game) بكل ما يتم اللعب به، مثل لعب الشطرنج والنرد لأغـراض التسلية أو اللهو أو الترفيه، ولا يتماهى هذا المفهوم اللغوي مع مفهومها الاصطلاحي، أو نظرية المباراة كما تسمى أيضاً، سيما وأنها تنصرف إلى دراسة حالة التفاعل الاستراتيجي بين صناع القرار لدولتين، يسعى كل منهما إلى تحقيق أعلى مردود ممكن له في بيئة تتميز بمعطيات الصراع، أو الحرب، وذلك عبر توظيف كلًا منهما لاستراتيجية محددة حيال الثاني، وبحصيلة نهائية لا يحدد مخرجاتها سلـوك أحـد اللاعـبيـن فـقـط، وإنـمـا أنـمـاط سلوكهم جميعاً معاً، بمعنى أن مخرجات هذه اللعبة، ومن ثم حصيلتها النهائية، لا تتحدد وفق مخرجات سلوك أحد اللاعبين فقط، وإنما أيضاً وفق مخرجات سلوك اللاعب الآخر أيضاً.

وبهذا المعنى، تهدف هذه النظرية بالحصيلة إلى وصف الكيفية التي يتبناها كل لاعب؛ لاختيار من بين مجموعة بدائل متاحة ذلك البديل الذي يحدد نمط سلوكه حيال سواه، والذي يحقق له أعلى ربح ممكن وأقل خسارة محتملة، ومن هنا تفترض هذه النظرية أن العقلانية هي التي تتحكم في هذا الاختيار والسلوك، بمعنى أن سلوك أحد اللاعبين لا يُعد استجابةً انفعاليه لسلوك الطرف الآخر، وإنما عن سلوك قائم على حساب موضوعي للأرباح والخسائر لكافة البدائل المتاحة، وترجيح البديل الذي يفضي إلى تحديد السلوك الأفضل حيال اللاعب الآخر (أي الخصم)، إضافةً إلى استشراف سلوكه المحتمل، سواء أثناء عملية التفاعل، أو لاحقاً في أحد أزمنة المستقبل، وفي ضوء ما سبق، تجمع نظرية اللعبة في أن بين مضامين عملية تحديد البدائل واختيار الأفضل منها وبين مقاربة استشراف المستقبلات، ولا سيما على صعيد المستقبل القريب.

وتفيد آراء أن لهذه النظرية جذوراً تمتد إلى زمانٍ طويل سابق على طرحها علمياً، ولأول مرة في عام 1944، من قبل عالم الرياضيات جون فـون نويمان (John von Neumann)، وعالم الاقتصاد أوسكار موركن شتيرن (Oskar Mor-gen Stern)، وذلك من خلال كتابهما المسمى بنظرية اللعبة والسلوك الاقتصادي (Game Theory and Economic Behaviour). وقد ساهم لاحقاً عـدداً من علماء السياسة (العلاقات الدولية في تطوير هذه النظرية، ومثالهم جون ناش (John Nash)) الذي أدخل عليها ما عرف بتوازن ناش، وكذلك كان لتوماس شيلنك (Tho-mas Schelling) تأثيره الملموس فيها عبر كتابه المهم والموسوم باستراتيجية الصراع Strate-gy of Conflict)).

ومنذ تبنيها، وهذه النظرية تجد تطبيقاً لها في حقول معرفية عـديـدة، منها مـثلًا حقول

السياسة (العلاقات) الدولية، والاقتصاد، والفلسفة، والأحياء، والاجتماع، وكذلك من قبل القوات المسلحة في دول من عالم الشمال، ففي حقل السياسة (العلاقات) الدولية، مثلاً، بدء توظيفها خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي سبيلاً لاستشراف مستقبلات التفاعلات الأمريكية- السوفيتية خلال الحرب الباردة، وكذلك أضحت هذه اللعبة إحدى المقاربات المهمة المستخدمة لدراسة مخرجات ظاهرة الصراعات والحروب الدولية، ولا سيما من قبل دعاة النظرية الواقعية.

وتتعدد الأمثلة النظرية التي يتم استخدامها للدلالة على نظرية اللعبة، وتُعد معضلة السجناء Prisoners Dilemma)) من بين أكثرها استخداماً وانتشاراً، إذ تتأسس هذه المعضلة الافتراضية على ما يفيد أن شخصين قد تم اعتقالهما جراء قيامهما بجريمة السطو على أحد البنوك، وكذلك تم عزلهما عن بعض للحيلولة دون تواصلهما المباشر والتنسيق فيما بينهما، ولأن الشرطة لا تتوافر على أدلة كافية لمعاقبتهما، عمد المحقق معهما إلى طرح صفقة عليهما تتكون من ثلاثة بدائل، وأن على كل من هذين الشخصين اختيار أحد هذه البدائل، وأن نوعية هذا الاختيار هي التي ستحدد نمط تعامل الشرطة معهم، والبدائل هي:

أولاً، إقدام أحد السجناء فقط على الاعتراف بالجريمة، ومن ثم إطلاق سراحه، أما السجين الثاني فيصار إلى إيداعه السجن ولمدة أربع سنوات.

ثانياً، رفض كل من السجينين التعاون مع الشرطة، ومن ثم عدم الاعتراف بالجريمة، وفي هذه الحالة سيتم معاقبة كلًا منهما بالسجن لمدة سنتين، أو إطلاق سراحهما معاً.

ثالثاً، قبول كل من السجينين التعاون مع الشرطة والاعتراف بالجريمة، بمخرجات تفضي إلى معاقبتهما بالسجن لمدة ثلاث سنوات.

وتفترض معضلة السجين أن البديل الثالث هو البديل الأمثل، وقد يصار إلى التساؤل: لماذا تم اختيار هذا البديل وليس الثاني، سيما وأن مدة العقوبة التي تقترن به تجعل منه الأفضل؟ ويكمن الجواب في أن عدم التواصل بين السجناء جراء عزلهما عن بعض، ومن ثم عدم معرفة أحدهما بنوايا الآخر وما قد يقدم عليه، هي التي تجعل من اعتراف كل من السجينين هو البديل الأمثل.

لقد أدى نمو الاهتمام بنظرية اللعبة إلى أن يتم ابتكار أنواع متعددة منها، ولأغراض التصنيف يتم الانطلاق من معايير متعددة، فمن حيث عدد اللاعبين، فهي تتم أما بين دولتين أو عدة دول، وأما من حيث الاستراتيجية المعتمدة، فاللعبة قد تعبر عن استراتيجية محددة أو مختلطة، أما من حيث نوعية التعاون بين اللاعبين، فهي قد تكون لعبة تعاونية أو لا تكون، وأما من حيث حصيلتها النهائية، فاللعبة قد تكون صفرية أو لا صفرية، ولأن هذا النوع الأخير من هذه اللعب يُعد أبرزها، سنتناولها بشي من التفصيل.

أولاً، اللعبة الصفرية

تُعبر اللعبة الصفرية (Zero-Sum-Game) عن حالة خاصة من الألعاب تتميز بتزامن سعي أحد أطرافها إلى جعل أرباحه في حدها الأعلى الممكن مع سعي الطرف الآخر إلى جعل خسارته المحتملة في حدها الأدنى الممكن، ومع هذا السعي المتباين، إلا أن حصيلة مخرجات هذا السعي هي التي تفضي إلى أن تكون الأرباح التي يحققها أحد الأطراف لذاته مساويةً للخسائر التي يتكبدها الطرف الآخر، أي، بعبارة أخرى، أن الربح يساوي الخسارة، ومن ثم تكون النتيجة النهائية صفر، لذا يُطلق عليها بالمباراة ذات المجموع الصفري، ويمكن التعبير عن هذه اللعُبة رياضياً بالآتي (1+/ 1-)، ومثالها لعب الشطرنج والبوكر.

ومرد خصوصية هذه اللعبُة يكمن في أنها من نمط اللعب غير التعاونية (Non-Coope-rative Game)، التي تنجم عن تناقض مصالح وأهداف اللاعبين، فضلاً عن نقص المعلومات عن نواياهم، ومحدودية الثقة المتبادلة فيما بينهم، لذا وعلى العكس من اللعُبة التعاونية (Cooperative Game) التي تتميز بخاصية أساسية مفادها التفاعل الإيجابي بين أطرافها؛ تحقيقاً لمصالح مشتركة، تتسم اللعبة الصفرية بمحدودية التواصل والتعاون بين اللاعبين، من ثم تصرف كل منهما بمعزلٍ عن الآخر انطلاقاً من استراتيجيته الخاصة والهادفة إلى إما تعظيم (Maximin) العائد النهائي المنشود جراء هذه اللعبُة، أو إلى تقليل) (Mini-max هذا العائد إلى أقل حدٍ ممكن، علماً أن في اللعبة الصفرية يتم التمييز بين كيفية تحديد كلًا من هذين العائدين:

فأما عن العائد الأول فيتم تحديده كالآتي:

تحديد أدنى (Min) الأرباح الناجمة عن كلًا من البدائل المتاحة.

اختيار أعلى (Max) ربح من بين أدنى الأرباح التي تفرزها الخطوة الأولى.

تحديد الاستراتيجية، التي تتماهى مع البديل الأعلى من حيث الأرباح، ومن ثم اتخاذها كأساس للتعامل مع اللاعب الآخر.

وعليه، تعني استراتيجية (Maximin) تحديد أعلى الأرباح في سلم أدنى الأرباح للبدائل المتاحة، ومن هذه الاستراتيجية قد تتفرع استراتيجية أخرى قوامها سعي أحد اللاعبين إلى تحقيق (Maximax)، أي اختيار البديل الذي يفضي إلى تحقيق الحد الأعلى في سلم الأرباح، وبغض النظر عن الكلفة، وبضمنه تقليص

العائد الأعلى للخصم.

وأما عن تحديد العائد الثاني (Minimax)، فهو يفيد بالسلوك الرامي إلى تقليص الحد الأعلى من الخسارة المحتملة، ويتم تحديد هذا السلوك كالآتي:

تحديد أعلى Max)) الخسائر الناجمة عن كل من البدائل المتاحة.

اختيار أقلMin)) الخسائر من حيث القيمة من بين البدائل أعلاه.

تحديد الاستراتيجية التي تحقق الخسارة الأقل، ومن ثم اعتمادها سبيلاً للتعامل مع اللاعب الآخر، وعلى العكس من نمط السلوك الأول أعلاه، يُقصد بـ (Minimax) السعي الرامي إلى تحديد أقل الخسائر الممكنة.

وعادةً تكون اللعبة الصفرية، على صعيد السياسة الدولية، لصيقةً بواقع الصراع بين دولتين، وتفيد تجارب الصراع الدولي عبر الزمان أن العديد منها كان قد أقترن بها، ولنتذكر مثلاً حصيلة الصراعات/ الحروب/ الإسرائيلية-العربية.

ثانياً، اللعبة غير الصفرية

تكون اللعبة غير صفرية Non-Zero-Sum-Game)) عندما لا يعني الربح الذي يحققه أحد اللاعبين لذاته بالضرورة الخسارة الصافية لثمة لاعب آخر، وإنما الكل يربح ويخسر في آنٍ واحد، ولكن بنسب مختلفة، كأن يربح أحدهم ما يساوي 75%، والآخر ما يساوي 25%، وكما أن الواقع الإنساني ينطوي على أمثلة تؤكد هذه اللعبة، كذلك هي لصيقة أيضاً بعلاقة التعاون والصراع بين دولتين، ومن ثم تُعد من اللعُب التعاونية التي يؤدي إدراك اللاعبون أن عدم تعاونهم يفضي إلى خسارتهم جميعاً، وتُعبر معضلة الدجاجة (Chicken Dilemma)، أو إشكالية الجبان كما تسمى أيضاً في الدراسات ذات العلاقة، عن مضمون هذا النوع من اللعب

تفترض هذه المعضلة، المستمدة أصلاً من لعبة رياضية كان يمارسها مراهقون أمريكيون في الخمسينيات من القرن الماضي، وجود مباراة بين شخصين يقود كلاً منهما عربة على طريقٍ يتسع لعربة واحدة فقط، وأن كلاً منهما يقف على إحدى طرفي هذا الطريق، وكل ما هو مطلوب منهما هو الوصول وبأقصى سرعة ممكنة إلى الطرف الآخر من الطريق، ويترتب عن المطلوب الخيار بين ثلاثة بدائل من قبل كلاً من الشخصين:

الأول هو أن يتراجع أحدهما، ويسمى بالدجاجة أو الجبان، ويكون خاسراً بالحد الأعلى مقابل ربح الثاني وبالحد الأعلى.

أما البديل الثاني فهو أن يتراجع كلاهما ويربحان بالحد الأعلى.

أما البديل الثالث فهو أن يتقدم كلاهما باتجاه الآخر، حيث يتم تصادمهما ووفاتهما، وفي هذه الحالة تكون خسارتهما معاً بحدها الأعلى.

وغنيٌ عن القول أن البديل الثاني هو الأمثل؛ لأنه يحقق لكل من الطرفين الربح بحده الأعلى.

وتتعدد الأمثلة على هذه المعضلة في السياسة الدولية، ومنها مثلاً سباق التسلح بين دولتين، حيث يفضي هذا السباق إلى ثلاثة بدائل ذات مخرجات مختلفة، هي: أولاً، سعيهما إلى الاستمرار في صراعهما، ومن ثم احتمالية تصعيده إلى حالة الحرب، وثانياً، اتفاقهما على الحد من صراعهم تمهيداً لفضه سلمياً لاحقاً، وثالثاً، استمرار إحدى الدولتين في التسلح مقابل امتناع الثانية عنه، وبحصيلة تفضي إلى حدوث خلل في توازن القوى بين هاتين الدولتين لصالح الأولى، وغنيٌ عن القول أن اختيار أحد هذه البدائل يتوقف على طبيعة علاقة الصراع السائدة بين الدولتين، ومدى استعدادهما لفضه.

وقد تم تطبيق مضمون هذه اللعبة على الأزمة الكوبية عام 1962 بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، التي اندلعت جراء زرع صواريخ سوفيتية في كوبا، وقد عُد فض هذه الازمة أنموذجاً للعبة غير الصفرية، فذهاب كل من الدولتين إلى الأخذ بالبديل الثاني (الاتفاق) رتب ربحهما معاً والعالم أجمع، إذ تم تجنب اندلاع حرب نووية بينهما ذات أبعاد عالمية.

وكذلك من المحتمل، وبأرجحية عالية أن تكون اللعبة غير الصفرية، وعبر المفاوضات، هي المدخل المناسب لفض الحرب الأمريكية-الإسرائيلية- الإيرانية الراهنة، سيما أن الأخذ بمضمون اللعبة الصفرية لا يخدم المصالح العليا للأطراف الدولية المتحاربة، فالولايات المتحدة الأمريكية لن تقبل بالخسارة؛ لأن هذا يعني رفد عملية تآكل قدرتها على قيادة النظام السياسي الدولي بمدخل مهم مضاف، والشيء ذاته ينسحب على إسرائيل وإيران، فقبولهما بالخسارة يعني القبول بتعريض الكيان الذاتي لكلٍ منهما لتهديد جدي، هذا فضلاً عن القبول بتحولها من قوة مؤثرة في حصيلة التفاعلات الإقليمية إلى مجرد قوة ذات تأثيرٍ محدود.

ولنوعية هذه الخسارة، يضحى التعاون الذي تفيد به مضمون اللعبة غير الصفرية هو المدخل لتحقيق مصالح القوى الأمريكية- الإسرائيلية-الإيرانية المتحاربة، فإضافة إلى الربح المشترك المتمثل في تجنب تلك التفاعلات التي قد تؤدي إلى تصعيد الصراع العسكري بينهما إلى آفاق أوسع، وشموله لدول أخرى لا سيما في المشرق العربي وبضمنه الخليج العربي، تفضي هذه اللعبة بالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً ليس فقط إلى تأمين انسياق الدول الحليفة لها وراء استراتيجيتها العليا، وإنما أيضاً إلى دعم تعطيل عملية تشكل النظام الدولي متعدد الأقطاب لزمانٍ مضاف، أما عن إسرائيل وإيران، فاللعبة غير الصفرية تتيح لهما، مثلاً، الحد من الاستنزاف العملي لقدراتها الناجمة عن ديمومة الحرب، فضلاً عن دعم دورهما كقوى إقليمية مؤثرة بمدخل مضاف، وتطوير علاقة كلاً منهما بالولايات المتحدة لاحقاً.

القسوة «أسلوبٌ سام» في تربية الأطفال

أ.نائلة فزع
صحفية وروائية سودانية

السلوك «السام» هو مصطلح عام يشير إلى السلوكيات التي تتسبب في الشعور بالاستصغار أو عدم الاحترام، الخوف وعدم الأمان.

في دراسة جديدة لـ«جامعة شيكاغو» تؤكد أن: «الأطفال الرُضع وفي سنٍ مبكرة جداً يُميزون بين السلوك الأخلاقي الحسن والسلوك السيء، ويقول الباحثون في هذه الدراسة أنهم تفاجأوا بقدرة الأطفال الصغار على التمييز بين التصرفات الحسنة وتلك الشريرة، وتؤكد أن معظم السلوكيات مثل العدل، العطاء كلها تُخلق معنا ولا نكتسبها من العادات والتقاليد».

أعتقد أن هذه الفرضية تعني أن الأخلاق موجودة في خلايا أجسادنا، والطفل ميزانه حساس، رقيق شفاف يتأثر بأسلوب التعامل عه، أسلوب «الأُسرة والمدرسة» يجب أن يكونا مكملين لبعضهما، ولا بد من التعاون بينهما فيما يخص سلوك أبنائهم غير السوي حتى يتم تقويمهم، بعض الأسر تُقارن بين أبنائها وأبناء الأصدقاء، متناسين الفروق الفردية العقلية وكذلك البيئة الأسرية المختلفة تماماً من طفلٍ لآخر، وبحسب مهنتي كمعلمة، أتناول معكم قضية الضغط الذي يُمارس على الطفل ليتفوق في دراسته دون النظر لإمكانياته العقلية، والأدهى أنهم لا يقدموا له أي دعم نفسي مُحفز، أؤكد أن أساليب التربية القاسية من الوالدين، خصوصاً الضرب المبرح مع الصراخ (إيذاء جسدي ولفظي)، على هفوات صغيرة يقع فيها الطفل، يتم على إثرها عقابه وتأنيبه بصورة قاسية ظناً منهم أنها الطريقة المُثلى التي تجعله يتعلم من أخطائه، و هما لا يدريان بأن القسوة قد تؤدي لاكتئابه في مراحل نموه لاحقاً، كما تعيق النمو العاطفي لديه وتجعله دائم التوتر وغير قادر على اتخاذ أي قرار مهما كان صغيراً إلا بعد الرجوع لأهله، لذا يجب على الوالدين، تثقيف أنفسهم تربوياً، ولا يرفعوا من سقف توقعاتهم في إحراز الأبناء لنتائج ممتازة تلبي رغباتهم، ولو لم تتحقق، تنهال عليهم اللعنات ووصفهم بالفشل، هذا النوع من الضغط القاسي، يؤدي إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه، وعدم تقديره لذاته التي أصبحت مهزوزة، وربما تظهر عليه بوادر التمرد التي قد تتضاعف كلما تقدم في السن، وذلك لإحساسه بأنه مهما حاول إرضائهم لا يُجدي نفعاً، علينا أن ندرك أن الإمكانيات العقلية لابننا تتيح له هذا القدر من النجاح.

وهناك طرحٌ آخر يقوم به بعض الأهل مع الأطفال، وهو منعهم عن التحدث ومناقشة ما يخصهم مع الآخرين، لأنهم سوف يقررون بدلاً عنهم، نجد هذا الطفل المسلوب الحقوق حينما يعمل في المستقبل، يخاف من المبادرة والخوض في تجارب جديدة؛ لأنه لم يتحمل مسؤولية اتخاذ القرار باكراً، ولم يدفعه والديه للتجربة والفشل، ولو دعموا الطفل بدون شك سيكون مؤهلاً لاتخاذ القرار الصائب وتحمل المسؤولية، وذلك لأن أسرته قد غرست فيه الثقة بالنفس، وخصصت له حيزاً زمنياً لمعرفة ما يدور في عقله، مثل سؤاله عن الخطط المستقبلية التي سوف ينفذها ويشاركوه الرأي، والطرح الأهم هو: أن نترك أولادنا يختاروا نوعية الدراسة التي يرغبون فيها ولا نُرغِمهم على دراسة الطب أو الهندسة مجاراةً للآخرين، أو للتباهي بوظائفهم فقط، السيدة في المنزل تحتاج لعامل (سباكة) ماهر، حينها تراه من منظور أن مهنته أهم عندها من ابنها الطبيب، قال الشاعر أبي العلاء المعري: «الناسُ بالناسِ من بدوٍ وحاضِرةٍ/ بعضاً لبعضٍ وإن لم يشعروا خدمُ».

احـتـفـالـيـة بـاريـس الـكـبـرى في الـيـوم الـعـالـمي لـحـريـة الـصـحـافـة

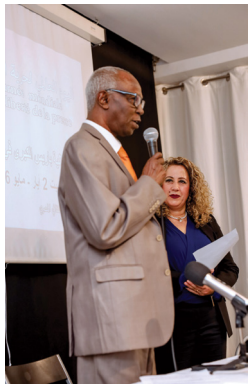

في أجـواء إعلامـية و ثقافـية لافـتة في باريس، نظم اتحاد الصحفيين والكتاب العرب في أوروبـا بالتعـاون مـع مجلة كـل العـرب فعالية خاصة بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، والتي احتضنها المركز الثقافي المصري في باريس، بمشاركة نخبة من الإعلاميين والمثقفين العرب من مختلف الدول.

واستُهل اللقاء بوقفة صمت تكريما لأرواح الصحفيين العرب الذين فقدوا حياتهم أثناء أداء واجبهم المهني في مناطق النزاع، خصوصا في فلسطين والسودان ولبنان، في مشهد يعكس حجم التحديات التي تواجه الصحافة في الميدان.

وأكدت الصحفية ليلى قيري، في كلمتها الافتتاحية خلال تقديم الحفل، أن إحياء اليوم العالمي لحرية الصحافة يمثل فرصة لتسليط الضوء على أهمية الإعلام الحر، والدور المحوري الذي يؤديه الصحفيون رغم المخاطر، لا سيما في مناطق النزاع..

ثم كانت كلمة الترحيب ألقيت نيابة د. شاهندا عزت المستشارة الثقافية المصرية لوجودها خارج فرنسا.

كلمة الافتتاح ألقاها أ. محمد الأسباط نائب امين عام الإتحاد.

بعدها بدأت طاولة الحوار التي ادارها الزميل طارق وهبي، و شارك بها السيدات و السادة: ماري قرطام، فتحي عثمان، زهرة بوسكين. و كانت تحت عنوان «اخلاقيات الإعلام و الذكاء الاصطناعي».

ثم كان هناك اتصال مع جنين في فلسطين تحدث بها الصحفي علي السمودي مباشرة

والذي خرج قبل يومين من سجون الاحتلال.

ثم تم تقديم كتاب «في اغتيال الرواية» الذي يوثق لشهداء الإعلام الفلسطيني منذ أكتوبر 2023 شارك به: الاستاذ ناصر أبو بكر نقيب الصحفيين الفلسطينيين و علي المرعبي أمين عام الإتحاد.

بعدها تم تكريم السيدات و السادة:

سميرة رجب - البحرين

علي السمودي - فلسطين

كاظم المقدادي - العراق

ليلى الماحي - الجزائر

رفيف فتوح - لبنان

صفوت حاتم - مصر

عبدالله رزق - السودان

وبمبادرة من إتحاد الصحفيين والكتاب العرب في أوروبا و مجلة كل العرب تم تكريم خاص لنقابة الصحفيين الفلسطينيين و رئيسها ناصر ابو بكر. وللمركز الثقافي المصري بشخص المستشارة شاهندا عزت.

وفي ختام الفعالية، عبر المشاركون عن إدانتهم لاستهداف الصحفيين، معتبرين ذلك انتهاكا واضحا للقوانين الدولية، ومحاولة لحجب الحقيقة، مؤكدين أهمية استمرار مثل هذه المبادرات التي تعزز حضور الإعلام العربي على الساحة الدولية.

الكاهنة «ديهيا» بين التاريخ والذاكرة:

مراجعة أدبية نقدية في ضوء رواية ابن خلدون والسرديات الأمازيغية والفرنسية الحديثة

د. إياد سليمان
محاضر جامعي، باحث في التاريخ ومختص في علوم البيانات

الملخص

تمثّل شخصية الكاهنة (ديهيا) إحدى أكثر الشخصيات إشكالية في تاريخ المغرب الكبير، حيث تتقاطع حولها السرديات التاريخية والذاكرة الجماعية والتمثيلات الأيديولوجية. تهدف هذه الدراسة إلى تقديم مراجعة أدبية نقدية تقارن بين رواية ابن خلدون، والروايات الأمازيغية، والكتابات الفرنسية الحديثة، مع اعتماد منهج مزدوج يجمع بين نقد المصادر (Source Criticism) ودراسات الذاكرة (Memory Studies). وتُظهر النتائج أن الكاهنة ليست مجرد شخصية تاريخية ثابتة، بل كيان سردي ديناميكي أُعيد تشكيله عبر العصور وفق تحولات السلطة والهوية والمعرفة التاريخية

مقدمة أولية:

تمثّل شخصية الكاهنة (ديهيا) في تاريخ المغرب الكبير مثالاً نموذجيًا على التداخل المعقّد بين التاريخ والسرديات اللاحقة والذاكرة الجماعية، بحيث لا يمكن دراستها ضمن إطار تاريخي وصفي تقليدي فحسب، بل تتطلّب مقاربة نقدية متعددة المستويات تجمع بين منهج نقد المصادر (Source Criticism) ودراسات الذاكرة (Memory Studies). فالشخصية التي تُقدَّم في المصادر العربية الوسيطة بوصفها زعيمة أمازيغية قاومت التوسع الأموي في أواخر القرن السابع الميلادي، تحوّلت عبر القرون إلى رمز ثقافي وسياسي تتنازع تأويله سرديات متباينة: إسلامية-تاريخية، أمازيغية-هوياتية، وفرنسية-استعمارية/ما بعد استعمارية. ومن هنا، فإن مراجعة الأدبيات حول الكاهنة لا تهدف إلى إعادة بناء "سيرتها" فحسب، بل إلى تفكيك آليات إنتاج معرفتها تاريخيًا.

في المصادر الكلاسيكية، يُعدّ ابن خلدون المرجع الأكثر اكتمالاً في تقديم سردية متماسكة عن الكاهنة، حيث يذكرها في سياق الفتح الإسلامي للمغرب ضمن كتابه "العِبَر وديوان المبتدأ والخبر"، ويصفها بوصفها زعيمة لقبيلة جرّاوة في جبال الأوراس، قادت مقاومة قوية ضد حملة القائد الأموي حسان بن النعمان. إلا أن الإشكال المنهجي الأساسي هنا يتمثل في البعد الزمني؛ إذ كتب ابن خلدون في القرن الرابع عشر، أي بعد نحو سبعة قرون من الأحداث المفترضة. وهذا البعد الزمني يفرض تطبيق نقد المصادر الداخلية والخارجية، نظرًا لاعتماده على روايات تراكمية ومواد أنساب ومرويات شفوية. وقد أشار Gabriel Camps لـYves Modérang إلى أن بعض التفاصيل التي يوردها ابن خلدون، مثل اسمها "ديهيا" أو نسبها المفصل أو حتى طول عمرها الاستثنائي، تبدو إضافات متأخرة تعكس اهتمام المؤرخين الوسيطين ببناء سلاسل نسب سياسية أكثر من اهتمامهم بالتحقق التاريخي الدقيق (Modéran, 2003)

أما في الأدبيات الفرنسية، فقد خضعت الكاهنة لإعادة تأويل مزدوجة: استعمارية ثم تفكيكية. خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية، تم توظيف شخصية الكاهنة ضمن ما عُرف بـ"الأسطورة القبائلية " (Kabyle Myth)، وهي سردية استشراقية هدفت إلى إبراز التمايز الحضاري بين الأمازيغ والعرب، وتقديم الأمازيغ بوصفهم أقرب إلى "العقلانية المتوسطية" مقابل "الشرقية العربية"، بما يخدم سياسات "فرّق تسد" الاستعمارية. في هذا السياق، شُبّهت الكاهنة أحيانًا بـ"جان دارك الأمازيغية"، وهو تشبيه ذو حمولة أيديولوجية واضحة يسعى إلى إدماج التاريخ المغاربي ضمن نموذج بطولي أوروبي مألوف (Han-noum, 2001) إن هذا الإسقاط الرمزي يكشف عن آلية استشراقية كلاسيكية تُعيد تشكيل الشخصيات التاريخية المحلية وفق قوالب أوروبية.

في المرحلة ما بعد الاستعمارية، اتجهت الدراسات الفرنسية والأنثروبولوجية إلى تفكيك هذه السرديات بدل إعادة إنتاجها. ويقدّم Abdelmajid Hannoum في عمله "Historiography and the Legend of the Ka-hina" تحليلاً نقديًا عميقًا يبيّن كيف تحوّلت الكاهنة من شخصية فولكلورية إلى موضوع تاريخي مُؤدلج. ويرى Hannoum أن كتابة تاريخ الكاهنة لم تكن محايدة، بل ارتبطت بتحولات سياسية وثقافية، حيث استخدمت السردية لتفسير أسلمة المغرب، أو لتعزيز خطاب الهوية الأمازيغية، أو حتى لتبرير المشروع الاستعماري. ومن منظور دراسات الذاكرة، يمكن اعتبار الكاهنة "موقع ذاكرة" (Lieu de Mémoire) بالمعنى الذي طرحه Pierre Nora، أي نقطة التقاء بين التاريخ والرمزية والهوية الجماعية.

مقدمة تاريخية: التوسع الأموي في المغرب الكبير وسياق المواجهة مع الكاهنة

شهد القرن السابع الميلادي تحوّلاً استراتيجيًا في تاريخ شمال أفريقيا مع انطلاق التوسع الإسلامي غربًا في إطار الفتوحات الأموية، التي لم تكن مجرد حملات عسكرية، بل مشروعًا سياسيًا-إداريًا لإدماج الأقاليم المغاربية ضمن المجال الحضاري الإسلامي الناشئ. فبعد تثبيت الوجود الإسلامي في مصر في عهد عمرو بن العاص، بدأت الحملات العسكرية تتجه نحو إفريقية (تونس الحالية) ثم نحو

المغرب الأوسط والأقصى، في سياق تنافسي مع القوى البيزنطية والكيانات المحلية الأمازيغية (البلاذري، فتوح البلدان؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب).

تُعدّ مرحلة القائد الأموي حسان بن النعمان (نهاية القرن السابع الميلادي) من أبرز مراحل هذا التوسع، إذ قاد حملة حاسمة لإخضاع إفريقية بعد سقوط قرطاج سنة 698م، وهو الحدث الذي شكّل نقطة تحوّل في انهيار النفوذ البيزنطي في المنطقة (Kennedy, 2007). وبعد تثبيت السيطرة في إفريقية، اتجهت الحملات الأموية نحو الداخل المغاربي، حيث واجهت مقاومات محلية، أبرزها المقاومة الأمازيغية في جبال الأوراس بقيادة الشخصية المعروفة في المصادر العربية باسم «الكاهنة».

تُظهر المصادر التاريخية المبكرة، مثل روايات ابن عبد الحكم والبلاذري، أن التوسع الأموي في المغرب لم يكن عملية خطية متواصلة، بل تخللته انتفاضات ومواجهات مع قوى محلية ذات تنظيم سياسي وعسكري. وفي هذا السياق، برزت الكاهنة بوصفها زعيمة مقاومة أمازيغية قادت تحالفًا قبليًا ضد التقدم الأموي، مستفيدة من الطبيعة الجغرافية الوعرة للأوراس ومن شبكة الولاءات المحلية (ابن خلدون، كتاب العبر).

ويشير ابن خلدون إلى أن المواجهة بين الكاهنة والجيوش الأموية لم تكن مجرد صدام عسكري عابر، بل صراع على إعادة تشكيل المجال السياسي في المغرب، حيث تمثل الكاهنة نموذجًا لسلطة محلية مقاومة لعملية الإدماج الإمبراطوري. غير أن الإشكال المنهجي يكمن في أن رواية ابن خلدون كُتبت بعد الحدث بقرون، مما يفرض التعامل معها ضمن إطار نقد المصادر، خاصة في ظل اعتمادها على تقاليد سردية وأنساب قبلية متراكمة (ابن خلدون، 1981).

من جهة أخرى، يرى المؤرخ الحديث Yves Modéran أن الفتح الأموي للمغرب كان عملية معقدة متعددة المراحل، اتسمت بالتفاوض والتحالف بقدر ما اتسمت بالصراع العسكري، وأن مقاومة الكاهنة تمثل إحدى الذروات السياسية لهذه المرحلة الانتقالية، لا مجرد تمرد محلي معزول (Modéran, 2003). كما يؤكد Gabriel Camps أن المقاومة الأمازيغية ضد التوسع الأموي ينبغي فهمها في إطار ديناميات السلطة المحلية والتحولات الاقتصادية والاجتماعية، وليس فقط ضمن ثنائية "فاتح/مفتوح" التقليدية (Camps, 1980).

وتشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن تصوير المواجهة بين الكاهنة والأمويين في المصادر الإسلامية الوسيطة خضع لإعادة تأطير سردي لاحق، حيث جرى إدراج الحدث ضمن خطاب الفتوحات الذي يميل إلى تقديم المقاومة المحلية كمرحلة انتقالية حتمية نحو الاندماج في النظام الإسلامي (Hannoum, 2001). كما أن نسب سياسات مثل "الأرض المحروقة" إلى الكاهنة قد يعكس نمطًا تفسيرياً في أدبيات الفتح يهدف إلى تبرير التحول اللاحق في ولاءات السكان المحليين.

وعليه، فإن المواجهة بين الكاهنة والتوسع الأموي لا يمكن قراءتها بوصفها صدامًا عسكريًا بسيطًا، بل باعتبارها لحظة تاريخية مفصلية في إعادة تشكيل البنية السياسية والثقافية للمغرب الكبير. فقد مثّل التوسع الأموي انتقالًا من فسيفساء قوى محلية وبيزنطية إلى نظام إداري-ديني مركزي، بينما مثّلت مقاومة الكاهنة تعبيرًا عن ديناميات السلطة المحلية ومحاولة الحفاظ على استقلالية المجال الأمازيغي في مواجهة مشروع توسعي إمبراطوري.

أولًا: الإطار المنهجي - نقد المصادر ودراسات الذاكرة

تعتمد هذه الدراسة على مقاربة إبستمولوجية مزدوجة تقوم على:

1.نقد المصادر التاريخية: تحليل زمن كتابة المصدر، وسياقه، ووظائفه الخطابية.

2.دراسات الذاكرة الجماعية: فهم كيفية إعادة إنتاج الشخصيات التاريخية ضمن الذاكرة الثقافية والهوية الجماعية (Halbwachs, 1992).

إن هذا المنهج ضروري نظرًا لكون أقدم الروايات المتماسكة حول الكاهنة متأخرة زمنيًا، مما يفرض التعامل معها بوصفها نصوصًا تاريخية-سردية لا وثائق معاصرة للحدث.

ثانياً: رواية ابن خلدون - السردية الجامعة المتأخرة

يُعد ابن خلدون (ت. 808هـ/1406م) المصدر الأكثر تفصيلاً حول الكاهنة، حيث يورد في كتاب العِبر أنها زعيمة أمازيغية من قبيلة جرّاوة في جبال الأوراس، قادت مقاومة قوية ضد القائد الأموي حسان بن النعمان في أواخر القرن السابع الميلادي (ابن خلدون، 1981).

غير أن الإشكال المنهجي الرئيس يتمثل في الفجوة الزمنية التي تفصل المؤرخ عن الحدث بنحو سبعة قرون، مما يثير تساؤلات حول طبيعة مصادره واعتماده على الروايات التراكمية والأنساب الشفوية.

تشير المادة المرفقة إلى أن رواية ابن خلدون تضمنت إضافات هوياتية متأخرة مثل:

- الاسم الحقيقي "ديهيا"
- نسب مطوّل
- عمر استثنائي

وهي عناصر يراها Yves Modéran انعكاسًا لاهتمام المؤرخين الوسيطين ببناء الشرعية النسبية والسياسية أكثر من الدقة التاريخية.

كما تنسب الرواية إليها سياسة "الأرض المحروقة" وتخريب العمران، وهو نمط سردي يتكرر في أدبيات الفتوحات لتبرير الهزيمة العسكرية للخصم وإعادة تأطيره أخلاقيًا.

ثالثاً: اللقب والدلالة الخطابية - "الكاهنة" بوصفها بناءً أيديولوجيًا

من منظور نقد الخطاب التاريخي، يحمل لقب

"الكاهنة" دلالة لغوية وسياسية معقدة. فالمصطلح العربي يشير إلى العرافة أو المتنبئة، وهو توصيف قد يكون أداة خطابية لنزع الشرعية الدينية عن الخصم السياسي.

وتؤكد المادة المرفقة أن ربط الشخصية بالنبوءة والسحر ظهر متأخرًا في المصادر الإسلامية، ما يرجّح أن اللقب لم يكن توصيفًا موضوعيًا لوظيفتها، بل إطارًا أيديولوجيًا ضمن خطاب الفتح

رابعاً: الروايات الأمازيغية والذاكرة الجماعية

تُظهر الذاكرة الأمازيغية تحوّلاً جذريًا في تمثيل الكاهنة، حيث لم تعد مجرد شخصية تاريخية ضمن سياق الفتح، بل تحوّلت إلى:

•أيقونة مقاومة محلية

•رمز للقيادة النسائية

•تجسيد للسيادة الثقافية الأمازيغية

وتشير المادة المرفقة إلى أن الذاكرة الشعبية نسبت إليها معالم جغرافية وآثارًا متعددة، وهو ما يعكس تضخم الذاكرة المكانية typical للأسطرة، حيث تتحول الشخصية إلى "رمز جغرافي" يُختم على المكان.

وفق نظرية Halbwachs، فإن الذاكرة الجماعية لا تعيد إنتاج الحدث كما وقع، بل تعيد صياغته وفق حاجات الهوية المعاصرة، وهو ما يفسر إعادة توظيف الكاهنة في الخطاب الثقافي الأمازيغي الحديث.

خامساً: السرديات الفرنسية – من التوظيف الاستعماري إلى التفكيك الأكاديمي

1. المرحلة الاستعمارية

خلال القرن التاسع عشر، أعادت الكتابات الاستعمارية الفرنسية صياغة شخصية الكاهنة ضمن ما عُرف بـ «الأسطورة القبائلية» (Kabyle Myth)، حيث جرى تصوير الأمازيغ بوصفهم أكثر "تمدنًا" من العرب ضمن خطاب استشراقي يخدم سياسات «فرّق تسد.»

وقد شُبّهت الكاهنة أحيانًا بـ «جان دارك الأمازيغية»، وهو إسقاط رمزي يكشف عن إعادة تأطير التاريخ المحلي ضمن نماذج أوروبية (Hannoum, 2001).

2. التفكيك ما بعد الاستعماري

في الدراسات الحديثة، خاصة لدى Abdelmajid Hannoum، لم يعد السؤال: «هل وُجدت الكاهنة؟» بل «كيف صُنعت أسطورتها تاريخيًا؟».

ويرى Hannoum أن السرديات حول الكاهنة استُخدمت:

•لتفسير أسلمة المغرب

•لتعزيز الهوية الأمازيغية

•لتبرير المشروع الاستعماري (Hannoum, 2001).

سادساً: تفكيك التاريخي والأسطوري

تشير المراجعة النقدية إلى إمكانية التمييز بين نواة تاريخية وطبقة أسطورية:

وجود مقاومة أمازيغية في الأوراس « مرجّح تاريخيًا».

قيادة امرأة للمقاومة « محتمل بحذر».

لقب الكاهنة « بناء خطابي لاحق»

اسم ديهيا والنسب المطوّل « إضافات متأخرة».

ديانتها (يهودية/مسيحية/وثنية) « غير محسومة تاريخيًا».

سابعاً: تفكيك ما هو تاريخي؟ وما هو أسطوري؟ (بدقة معقولة)

لا يوجد "يقين رياضي" لأن أقدم طبقة روائية متماسكة متأخرة، لكن يمكن ترتيب العناصر بحسب قوة السند/منطق تشكّل الأسطورة

وجود مقاومة أمازيغية منظّمة في الأوراس ضد التوسع الأموي أواخر القرن 7: مرجّح.

قيادة امرأة/شخصية أنثوية للمقاومة (الكاهنة): محتمل/مرجّح بحذر.

لقب "الكاهنة = العرافة/المنجمة": قوي دلاليًا.

اسمها الحقيقي "ديهيا" + نسب طويل + عمر 127 سنة: ضعيف/أسطوري غالبًا.

"الأرض المحروقة/تخريب البساتين" كسبب لانقلاب الناس عليها: ممكن لكنه قابل للتوظيف الرمزي.

يهوديتها/مسيحيتها/وثنيتها كحسم نهائي: غير محسوم.

ثامنا: الكاهنة كموقع ذاكرة (Lieu de Mémoire)

وفق مفهوم Pierre Nora، يمكن اعتبار الكاهنة "موقع ذاكرة" حيث تتقاطع:

السردية التاريخية

الهوية الثقافية

الذاكرة الجماعية

فهي ليست مجرد شخصية من القرن الثامن الميلادي، بل رمز متعدد الدلالات أعيد إنتاجه عبر العصور وفق تحولات السلطة والمعرفة

الخاتمة

تُظهر هذه المراجعة الأدبية أن الكاهنة ليست شخصية تاريخية ثابتة بقدر ما هي بناء سردي ديناميكي تشكّل عبر تفاعل النصوص التاريخية والذاكرة الجماعية والخطابات الأيديولوجية. فبينما قدّم ابن خلدون سردية جامعة لكنها متأخرة زمنياً، أعادت الذاكرة الأمازيغية إنتاجها كرمز مقاومة، في حين وظّفتها الكتابات الفرنسية ضمن سياقات استعمارية قبل أن تُفكَّك لاحقًا في الدراسات ما بعد الاستعمارية.

وعليه، فإن "تاريخ الكاهنة" لا يمكن فصله عن تاريخ كتابة التاريخ في المغرب الكبير، حيث تتقاطع السلطة السردية والهوية والذاكرة في تشكيل صورة امرأة واحدة تحوّلت إلى

قائمة المراجع (References)

•ابن خلدون. (1981). كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر. دار الفكر.

•ابن عبد الحكم. فتوح مصر والمغرب.

•البلاذري. فتوح البلدان.

•Camps, Gabriel. (1980). Les Berbères: Mémoire et Identité.

•Halbwachs, M. (1992). On Collective Memory. University of Chicago Press.

•Hannoum, A. (2001). Historiography and the Legend of the Kahina in the Maghrib.

•Hannoum, Abdelmajid. (2001). Historiography and the Legend of the Kahina.

•Kennedy, Hugh. (2007). The Great Arab Conquests.

•Modéran, Y. (2003). "La Kahena et l'histoire des Berbères."

•Modéran, Yves. (2003). Les Maures et l'Afrique romaine.

•Nora, P. (1989). Between Memory and History: Les Lieux de Mémoire.

لقاء الأحد يُكرّمه.. وشاح عثمان سعدي للغة العربية للأديب الزميل جان توما

طرابلس ـ خاص كل العرب

دعا لقاء الأحد الثقافيّ إلى لقاء هام لمناسبة تكريم الأمانة العامة لاتحاد الصحفيين والكتاب العرب في أوروبا ومجلة كلّ العرب في باريس، عضو لقاء الأحد، الأديب الدكتور جان توما، مع نخبة من الاكاديميين والأدباء العرب، لمناسبة اليوم العالميّ للّغة العربيّة، ومنحته وسامًا وشهادة وشاح عثمان سعدي للغة العربية لدور الدكتورجان توما المميّز في الحياة الأدبيّة والعلمية وإبراز الحضارة العربيّة والدفاع عن اللّغة العربيّة والقيم الإنسانيّة.

عُقد اللقاء في مؤسسة شاعر الفيحاء سابا زريق الثقافية، وحضره حشد من المدعوين تقدّمهم النائب طه ناجي، رئيس اتحاد بلديات الفيحاء المهندس وائل زمرلي، رئيس بلدية الميناء الحالي عبدالله كبارة والسابق عبد القادر علم الدين، رئيس مجلس إدارة معرض رشيد كرامي الدولي الدكتور هاني الشعراني، نقيب المعلّمين نعمة محفوض، رئيس مصرف الإسكان أنطوان حبيب، رئيس مرفأ طرابلس السابق اسبيرو روحانا، عميد كلّية الآداب في جامعة الجنان هاشم الأيوبي، عميدة كلية العلوم الاجتماعية في اللبنانية مادلين حيدر، نائب نقيب محرري الصحافة اللبنانية غسان ريفي، نائب رئيس المجلس الوطني للإعلام إبراهيم عوض ورؤساء مؤسسات وجمعيات سابا زريق، مصطفى الحلوة، غسان الحسامي، عائشة يكن، ناصر جرّوس، ولفيف من التربويين والأصدقاء.

افتتح اللقاء بالنشيدين الوطني ونشيد الفيحاء لشاعر الفيحاء.

ثم كانت كلمة تقديم من رئيس اللقاء د. أحمد العلمي حيّا فيها روح فقيد اللقاء المهندس لامع ميقاتي، ثم تلا على مسامع الحاضرين كلمة أمين عام الاتحاد علي المرعبيّ، وجاء فيها: "هو تكريم مستحق لهذه القامة اللبنانيّة، الأديب الدكتور جان توما، مع نخبة من الاكاديميين والأدباء العرب، لمناسبة اليوم العالميّ للّغة العربيّة، لتميّزه في الحراك الأدبي ولعمله في الدفاع عن اللّغة العربيّة والقيم الإنسانيّة.

ثم كانت كلمة لرئيس بلدية الميناء الأستاذ عبدالله كبارة الذي نوّه "بأن الأمم لا تقاس بأبراجها ومصانعها فحسب بل بعلمائها ومثقفيها وأدبائها، وأن الدكتور جان هو قامة فكرية تفتخر بها الميناء، وهذا التكريم تعبير عن تقدير كل فرد من هذه المدينة واعتراف بأنّ الدكتور جان هو من أبرز مفكريها وهو قامة فكرية تعتز بها الميناء.

ثم ألقى الدكتور توما كلمة ومما جاء فيها: هنا، من على مِنصّةِ شاعرِ الفيحاءِ سابا زريق التي فتحتْ منصات النّشرِ للكبارِ وللمغمورين، نفرحُ في وقْفَتِنَا تكريمًا لطرابلس والميناء. نحن لم نكتب عن المدينة، بل كتبنَا عن ناسِهَا الطّيبين، علَّ فجرَ المدينة يكون متلألأ لشبابها ليرسّخوا انتماءهم إلى هذا الشاطئ، في تكامل مائي بين الماء الحلوة والأخرى المالحة. صِرْتُ على يقين أن الإبحار في تاريخ هذه المدينةِ لرسم مستقبلِها يشبهُ سيرَنَا أطفالاً على سكّةِ القطارِ في الستينياتِ لنصل إلى إنشاءات مَعْرِض طرابلسَ يومَها، فكأنَّ العبورَ من الحاراتِ إلى العالمَ كلِّهِ مرسومٌ لأبناءِ هذه الطرابلس-الذين يخرجونَ لإعمارِ الدّنيا ويعجزونَ عن إنماءِ مُقدّراتِها واستثمارِها، والأملُ كبيرٌ في هِمَمِ الشبابِ الذين يتولّونَ اليومَ، اتحادًا ومرفأً ومَعْرِضًا ومنطقةً اقتصاديّةً وغيرَها.

وفي الختام قدم الدكتور بدر حسون صاحب الماركة اللبنانية العالمية المميزة «خان الصابون» هدية خاصة للمحتفى به.

الحروب والوقود الأحفوري: كيف تدمر النزاعات البيئة وتهدد مستقبل الحياة على الأرض الحرب الحديثة وتدمير شروط الحياة

أ.صراح دالي
كاتبة من تونس

في إيران، وخلال أيام من الضربات الأمريكية-الإسرائيلية الأولى، تحولت الطاقة إلى ساحة معركة مباشرة، إذ استهدفت الهجمات والهجمات المضادة البنية التحتية للوقود الأحفوري، وأصبح مضيق هرمز نقطة توتر خطيرة مع احتجاز عشرات الناقلات التي تحمل مليارات اللترات من النفط داخل الخليج العربي.

وفي غزة، أظهر تحليل منظمة Green-peace MENA أضراراً جسيمة لحقت بالمياه والصرف الصحي والأراضي الزراعية ومصايد الأسماك، إلى جانب تقديرات تشير إلى أن أول 120 يوماً من الحرب ولّدت أكثر من نصف مليون طن من ثاني أكسيد الكربون، ويؤدي هذا المزيج من القصف وانهيار البنية التحتية والتلوث إلى جعل المكان أقل قابليةً للحياة، وأقل صحة، وأضعف قدرة على الصمود في مواجهة التغير المناخي.

ويقدم السودان مثالاً صارخاً آخر؛ إذ تُظهر أبحاث مرصد النزاعات والبيئة (Conflict and Environment Observatory) كيف تدفع الحرب نحو إزالة الغابات، وتراجع الزراعة، والتلوث الصناعي، وانهيار أنظمة الصحة والصرف الصحي، مما يقوض وصول السكان إلى الغذاء والماء والطاقة.

ولا تقتصر تكلفة الحرب المناخية على ساحات القتال فقط، فقد قدّر باحثون استشهد بهم مرصد النزاعات والبيئة أن الجيوش مسؤولة عن نحو 5.5٪ من انبعاثات الغازات الدفيئة عالمياً، بينما تضيف النزاعات المزيد من الانبعاثات عبر الحرائق، واستهلاك الوقود، وإعادة الإعمار، وفقدان البنية التحتية القادرة على الصمود، وبالتالي فإن التكلفة البيئية للحرب فورية وتراكمية في آنٍ واحد، إذ تدمر النظم البيئية اليوم وتضعف قدرة المجتمعات على مواجهة موجات الحر والجفاف والفيضانات وفقدان المحاصيل غداً.

لقد أثبت التاريخ أن آثار الدمار تستمر لعقود طويلة، ففي حرب فيتنام، رشّت القوات الأمريكية ما يقرب من 80 مليون لتر من مبيدات الأعشاب، بما في ذلك العامل البرتقالي (Agent Orange)، مما أثر على نحو 2.9 مليون هكتار من الأراضي، وترك مادة الديوكسين في التربة والمياه والسلاسل الغذائية لعقود، وفي العراق، حذّر برنامج الأمم المتحدة للبيئة وتحقيقات ميدانية لاحقة من مخاطر بيئية وصحية طويلة الأمد مرتبطة بالمخلفات السامة للحرب.

ويمتد الدرس من فيتنام والعراق إلى غزة وأوكرانيا: فالحرب تلوث شروط الحياة نفسها، إذ تُفسد الأرض والماء والهواء والصحة بطرق قد تمتد آثارها إلى أجيال، خصوصاً عندما تتداخل المعارك مع المواد الكيميائية والنفط والمخاطر الإشعاعية والبنية التحتية المدمرة.

الوقود الأحفوري: في قلب النزاعات والأزمات البيئية

إن نطاق الضرر البيئي الذي تسببه الحروب الحديثة واسع للغاية؛ فالضربات الصاروخية تؤدي إلى حرائق ضخمة، وتتسبب المواقع الصناعية في تسرب السموم، ويؤدي القصف إلى تلويث التربة والمياه، بينما تصبح الأراضي المزروعة بالألغام أو الواقعة تحت الاحتلال خطرة على الزراعة أو الترميم أو حتى الدخول إليها، وهذا يقود إلى حجة أوسع تتعلق بكيفية إعادة بناء الدول المتضررة من الحرب بطريقة أكثر استدامة، تُعيد إحياء الطبيعة وتقلل الاعتماد على أنظمة الطاقة الهشة نفسها التي تستهدفها الحروب باستمرار.

ولا يُعد الدمار البيئي الناتج عن الحروب مجرد نتيجة جانبية للنزاعات، بل يرتبط أيضاً بأنظمة الطاقة القائمة على الوقود الأحفوري التي تغذي الاقتصادات الحديثة، فالنفط والغاز ليسا مجرد ضحايا للحرب، بل غالباً ما يكونان في قلبها؛ إذ تمول عائدات النفط والغاز الآلات العسكرية، بينما يؤدي الصراع على خطوط الأنابيب والموانئ وناقلات النفط وممرات الشحن إلى تأجيج التوترات الجيوسياسية، وعندما يعتمد الاقتصاد العالمي على موارد مركزية قابلة للاشتعال، فإن الهجمات على المستودعات والمصافي والناقلات وطرق الشحن لا تعطل التجارة فحسب، بل تهدد أيضاً النظم البيئية البحرية والصحة العامة والاستقرار الاقتصادي في الوقت نفسه.

وتفسر هذه الديناميكية لماذا تتحول النزاعات المرتبطة بالبنية التحتية للوقود الأحفوري إلى أزمات بيئية، ففي حرب الخليج عام 1991، أدت حرائق آبار النفط الكويتية إلى تلويث الهواء والأرض والمياه على نطاق واسع، ومؤخراً، حذّرت منظمة Greenpeace Germany من أن التصعيدات العسكرية في منطقة الخليج أدت إلى احتجاز أكثر من 85 ناقلة نفط ضخمة داخل الخليج العربي، ما زاد بشكل حاد من خطر حدوث تسرّب نفطي، وستدفع المجتمعات المحلية الثمن طويل الأمد أولاً، إذ سيهدد أي تسرّب مصادر

الرزق والنظم البيئية البحرية الهشة، بما في ذلك الشعاب المرجانية وغابات المانغروف ومروج الأعشاب البحرية لعقود قادمة، إن التهديد البيئي متجذر في نظام طاقة يركز المخاطر في عددٍ محدود من المواقع شديدة الاشتعال والتلوث.

ولا يقتصر تأثير الوقود الأحفوري على تفاقم الأضرار بعد اندلاع القتال، بل يمكنه أيضاً تشكيل الدوافع وصراعات القوة التي تجعل النزاع أكثر احتمالاً من الأساس، فقد ارتبطت التحركات العسكرية الأمريكية في بعض الحالات بالسعي إلى النفوذ في قطاع النفط الفنزويلي، في بلدٍ يمتلك أكبر احتياطي مؤكد من النفط الخام في العالم، ما يعكس كيف يمكن للموارد أن تتحول إلى عنصر في حسابات القوة الجيوسياسية.

إن عالماً منظماً حول النفط والغاز يجعل المجتمعات والنظم البيئية قابلةً للتضحية في سبيل السيطرة الاستراتيجية والربح، ولهذا لا يمكن فصل العواقب البيئية للحرب عن الاقتصاد السياسي القائم على استخراج الوقود الأحفوري.

ويُعد خزان النفط العائم "صافر" في اليمن من أوضح الأمثلة على هذا التقاطع بين الوقود الأحفوري والأزمة الإنسانية والصراع، فقد هددت الناقلة المهجورة، التي كانت تحمل نحو 1.1 مليون برميل من النفط، بحدوث تسرّب هائل في البحر الأحمر لسنوات، بينما حالت الحرب دون إجراء الصيانة والاستجابة المناسبة.

الطاقة المتجددة كطريق للأمن والسلام البيئي

في المقابل، تمثل الطاقة المتجددة ضرورةً أمنية واستراتيجية، فلا توجد أشعة شمس يمكن احتجازها في مضيق هرمز، ولا يمكن حجز الرياح عبر مسارات ناقلات النفط، إن مصادر الطاقة المتجددة الموزعة أصعب استهدافاً بالقصف أو الحصار من حقول النفط الضخمة وخطوط الأنابيب ومحطات الطاقة المركزية؛ لأنها تزيل نقاط الضعف الأحادية من نظام الطاقة، كما يمكن لشبكات الطاقة اللامركزية، مثل الألواح الشمسية فوق الأسطح والبطاريات والشبكات المحلية وإجراءات الكفاءة، أن تساعد في استمرار عمل المستشفيات والمدارس والمنازل حتى عندما تتعرض البنية التحتية الوطنية للهجوم أو تتعطل واردات الوقود.

ولهذا ينبغي فهم التحول في مجال الطاقة أيضاً بوصفه استراتيجية للأمن والقدرة على الصمود، فالدول التي تولد طاقتها من الشمس والرياح المحلية تكون أقل عرضةً لاضطرابات الشحن وارتفاع أسعار الوقود والابتزاز السياسي المرتبط بواردات النفط والغاز، صحيح أن الطاقة المتجددة لا تستطيع إيقاف الحروب، لكنها قد تقلل نفوذ كارتلات الوقود الأحفوري، وتحافظ على استمرار الخدمات الأساسية، وتخفض الضرر البيئي الناتج عن الدفاع عن البنية التحتية المركزية القابلة للاحتراق.

إن الحروب والنزاعات لا تقتل البشر فقط، بل تسمم المياه، وتدمر التربة، وتلوث الهواء، وتقوض الأنظمة التي تجعل الحياة اليومية ممكنة، وتسليط الضوء على هذا الدمار أمر بالغ الأهمية؛ لأن السلام لا يعني مجرد غياب القنابل، بل يعني أيضاً إمكانية العيش على أرض آمنة وصحية وصالحة للحياة، وهو ما أصبح اليوم جزءاً من الحق الإنساني في بيئة نظيفة وصحية ومستدامة.

من
مذكرات مغتربة

ابتسامة تعيد الحياة

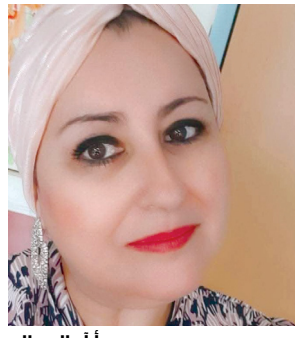

أ.أمال صالح
أديبة وشاعرة تونسية

كانت تقرأ كثيراً... تجلس بجانب نافذة غرفتها على أريكة مريحة، أحياناً تغفو وتنام والكتاب مفتوحٌ بين يديها، وأحياناً كثيرة تبكي.

كنتُ أمرّ أمام غرفتها، فإذا وجدتها نائمة أعود بهدوء دون أن أحدث أي ضجيج، وإذا وجدتها مستيقظة أعرض عليها برنامج اليوم، كنت أعرف شخصيتها وما يلائم ذوقها، فلا أقترح شيئاً إلا إذا شعرت أنه يناسبها.

كانت ترفض غالباً، وتقول لي وهي تبكي إنها ليست على ما يرام، وإنها حزينة.

العيش في دار كبار السن أمرٌ صعب عليها، ولن تتقبله أبدًا... هذا ما قالته لي يوماً حرفياً.

أحيانًا كانت تصرخ، ثم تلاحظ انزعاجي فتعتذر بسرعة... كانت تتأرجح بين مشاعر غامضة، أو ربما بين مشاعر يعتصرها ألم الرفض والعجز تجاه كل شيء.

ذات يوم مررتُ بغرفتها، وكنت قد حاولت كثيراً أن أشتغل على لغتي، وعلى تعابير وجهي، وعلى الطريقة التي أوجّه بها الدعوة إليها.

كيف يمكن أن نخاطب إنساناً يحمل جروحاً كثيرة في سنٍّ هشّة، ويكون خطابنا القصير محمّلاً بمزيج من التقدير والتبجيل، وكل ما يجعل الإنسان يشعر أن له ما يزال قيمة، وأنه ما يزال محاطاً بانتباه الآخرين وحبهم؟

أن يشعر أنه ما يزال حاضراً بكل ما يملكه من فكر ومشاعر، وأنه كائن اجتماعي له الحق نفسه في الحياة مثل باقي الأعمار.

كان باب غرفتها مفتوحاً دوماً، ابتسمتُ لها بعفوية، فردّت الابتسامة قائلة:

«أنتِ لا تعرفين كم أشعر بالارتياح حين تطلين من الباب... ابتسامتك تريح قلبي كثيراً... أنتِ إنسانة لطيفة جدًا».

حقاً، لم أكن أتوقع أن ابتسامة خفيفة يمكن أن تطرق قلبها بهذه القوة.

جاءت معي هذه المرة، وتعمدتُ اختيار المكان الذي تجلس فيه حتى تبقى إلى آخر برنامج التنشيط، أجلستها بجانب سيدة لطيفة تُحسن الحديث، ومرت الأجواء رائعة.

لم تغادر ذهني صورتها وهي تشكرني على ابتسامتي.

هناك فراغات كثيرة في أيامنا تمرّ بقسوة، فقط لأن جانب المشاعر وُضع على الهامش.

ثم أن هناك ما يسمونه بالابتسامة التجارية، أو الابتسامة الصفراء، والعديد من تعابير الوجه الميكانيكية التي تزيد حياة الناس تعقيداً.

المرأة التي تحدثت عنها تعكس معضلتين أساسيتين في عصرنا الحديث:

الأولى: تقسيم الأفراد حسب الأعمار، وكأن الإنسان يتوقف عن الحياة عند سنّ معينة، هل من المعقول أن يتحول إنسان بعد عمرٍ طويل من النشاط الاجتماعي والإنساني، إلى كتلة باردة بلا أجنحة ولا نبض؟

أما الثانية، فهي أهمية المشاعر الإنسانية في إعادة ضخ الإحساس بالحياة لدى كبار السن، والحقيقة أن هذه المشاعر ضرورية لكل الأعمار، لكن الإنسان في المراحل الأخرى قد ينشغل عنها وسط متطلبات الحياة المادية.

المشاعر الإنسانية لا تظهر فقط في طريقة الكلام، بل أيضاً في نظرات العيون، وفي الابتسامة، وفي الربت على الكتف... أشياء بسيطة جداً، لكنها قادرة على أن تجعل أي إنسان يشعر بقيمته وإنسانيته.

ابتسامة واحدة غيّرت يوماً كاملاً... من الدموع إلى الامتنان.

في الكلام
اللاّمبـــــاح

أ.حياة الرايس
كاتبة تونسية تعيش
بين تونس وسويسرا

هل الذاكرة العربيّة ذاكرة ذكوريّة؟ المصلحون الاجتماعيون، هل هم الرّجال دائماً؟

ولماذا عندما نتحدث عن حركات الإصلاح الفكريّة والاجتماعية، خاصةً تلك التي تتعلق بتحرير المرأة، لا يكاد يتبادر إلى ذهننا إلا محمد عبده، قاسم أمين، الطاهر الحدّاد، لطفي السيّد والأفغاني وغيرهم.

هل لأن الذاكرة العربية ما زالت ذاكرةً ذكوريّة؟

ولأنّ مدوّنة التاريخ تبقى مدوّنةً رجالية في نهاية الأمر؟

أهي صدفةً أن تكون «ميّ زيادة» هي الوحيدة بين كلّ الكتّاب الرّجال التي ألفت ثلاث كتب عن ثلاث نساء مصلحات، هن: «عائشة التيمورية» و«ملك حفني» التي كانت توقع باسم (باحثة البادية) و«وردة اليازجي»؟

لقد شهد بدايات القرن العشرين، عدّة مصلحين كما شهد عدة مصلحات اجتماعيات نادين أيضاً بتحرير المرأة ودافعن عن قضيتها، ولا أقول أنهن كنّ كلهنّ مغمورات، ولكن لقيت بعضهنّ صيتاً وشهرةً، مثل: «سهير القلماوي» و«هدى شعراوي» من مصر، و«مي زيادة» اللبنانية المصريّة أو «نبويّة موسى»، فإنّ مصلحات أخريات كنّ أقلّ حظاً منهن من حيث الشهرة والانتشار، رغم كونهن ساهمن مساهمةً فعّالة في الفكر الإصلاحي، يمكن أن نذكر «ملك حفني» من مصر و«زينب فوّاز» و«وردة اليازجي»، ربّما ذلك ما دفع «ميّ زيادة» إلى تأليف ثلاثة كتب عنهنّ.

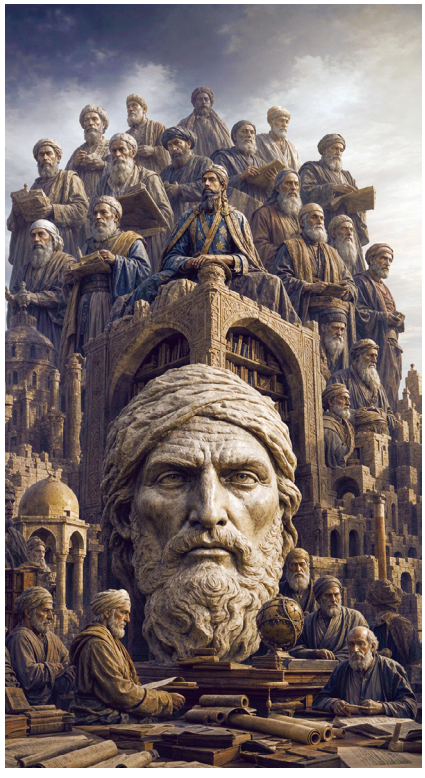

في لبنان قد كتبت رائدة التحرير «نظيرة زين الدين» كتاب «السّفور والحجاب» الذي أقام ثورةً في سوريا وفي لبنان..ولكن وقع التعتيم عليه بعد ذلك، وبقيت صاحبته مغمورةً إلى حين، وهناك رائدات سبقن قاسم أمين في دعوته إلى تحرير المرأة، فـ«عائشة التيموريّة» (1840 ـ 1902) التي كانت تقرض الشعر بالفارسيّة والتركيّة والعربيّة، كتبت قصّة (نتائج الأحوال) بلغة المقامات، و(مرآة التأمل في الأمور)، سبقت فيها قاسم أمين إلى النقد الاجتماعي والدعوة إلى الإصلاح.

أمّا في تونس فإن حركات الإصلاح النسائية لبداية القرن العشرين قد تناولت الجانب الميداني، أكثر من الجانب الفكري التنظيري.

فنجد مؤسسات لحركات نسائية، مثل «بشيرة بن مراد» التي أسست الاتحاد النسائي الإسلامي سنة 1936، وإن كانت تكتب بعض المقالات في مجلة «شمس الإسلام»

يمكن أن نذكر أيضاً «آسيا بن ميلاد»، «بدرة بن مصطفى»، «زينب الغرياني» التي أسست أول جمعية خيرية...

أمّا «توحيدة فرحات»، رغم أنّها اقلّ شهرةً منهن، فقد أسست «نادي الفتاة التونسية» سنة 1954، وهو النادي الوحيد والأول من نوعه الذي يؤسس من طرف النساء أنفسهن، وقد أصدرن مجلة «الإلهام»، لسان حال النادي، وهي أوّل مجلة خاصّة بالمرأة، وقد سبقت كلّ هؤلاء الرائدتان «منوبية الورتاني» و«حبيبة المنشاري».

حين كان الجدل حادّاً في عشرينات القرن السابق حول خروج المرأة إلى الحياة العامّة، أوالسّفور والحجاب، بين أنصار السّفور وخاصةً من الاشتراكيين الفرنسيين، ورجال الحزب الإصلاحي القريبين منهم، وبقية النخبة، وكانت «منوبية الورتاني» المرأة التونسية المسلمة، قد أثارت الجدل في الموضوع، يوم 15 جانفي 1924 على منبر الجمعية الثقافية «الترقي» التي ينشطها الاشتراكيون، وكان عنوان الندوة «مع أو ضدّ الحركة النسوية»، وقد تدخلت السيدة الورتاني مكشوفة الوجه، وطالبت بتحرُّر المرأة من الحجاب.

فبعد خمس سنوات تجرأت امرأة أخرى يوم 8 جانفي 1929 بالحديث سافرة الوجه، وهي السيّدة «حبيبة المنشاري» التابعة للفرع النسائي للحزب الاشتراكي الفرنسي في تونس.

هذه بعض أمثلة مختصرة من دراسة طويلة عن حركات الإصلاح النسائية في بداية القرن الـ20 في كتابي «الجسد المسكون والخطاب المضاد».

حين يصير الربيع شاهداً على الدم

مجازر ماي 1945 في الجزائر وذاكرة الإنسان المقهور

أ.حنين قيري
صحفية من الجزائر

في الثامن من ماي 1945، بينما كانت شوارع أوروبا تتزين بأعلام النصر احتفالاً بانتهاء الحرب العالمية الثانية، كانت الجزائر تعيش وجه آخر من التاريخ، وجه مغمور بالدخان، ومثقل بصراخ الأبرياء، ومكتوبٌ بمداد الدم والخذلان، ففي الوقت الذي بشرت فيه الإنسانية العالم بولادة عهد جديد من الحرية والكرامة وحق الشعوب في تقرير مصيرها، كانت مدن سطيف خراطة وقالمة تتحول إلى مسرح لمجازر مروعة ستظل واحدة من أكثر الصفحات إيلاماً في الذاكرة الجزائرية الحديثة

لم تكن مظاهرات الجزائريين في ذلك اليوم سوى تعبير سياسي مشروع عن تطلعات شعب أنهكته عقود الاستعمار، شعب آمن أن مشاركته في الحرب إلى جانب فرنسا وتضحية أبنائه في الجبهات الأوروبية ستقوده إلى الاعتراف بحقه الطبيعي في الحرية والكرامة.

خرج الناس حاملين الرايات والشعارات، لا طلباً للفوضى؛ بل أملاً في أن يسمع صوتهم في عالم كان يتغنى بالعدالة بعد سنوات الحرب القاسية، غير أن الرد جاء مختلفاً وعنيفاً إلى حدٍ يفوق الوصف، تحولت الشوارع سريعاً إلى فضاءات من الرعب والرصاص، الاعتقالات وحملات القمع والمداهمات الواسعة، كلها صنعت مشهداً مأساوياً إمتد لأيام طويلة، وخلف آلاف الضحايا من المدنيين، لم تكن المأساة مجرد مواجهة عابرة، بل جرح جماعي عميق رسخ في الوعي الجزائري معنى القهر والاستلاب، وكرس شعوراً بأن الحرية لا تمنح بل، تنتزع بثمنٍ باهظ.

لقد اختلفت الروايات التاريخية حول عدد الضحايا، وتباينت الأرقام بين المصادر الرسمية والشهادات الوطنية، غير أن الحقيقة التي لا يختلف حولها اثنان هي أن ما حدث في ماي من عام 1945 شكل صدمةً إنسانية وسياسية كبرى، وفتح الباب أمام مرحلة جديدة من الوعي الوطني الجزائري، فقد أدرك الجزائريون في ذلك الوقت أن المطالب السلمية وحدها لم تعد كافية لإحداث التغيير، وأن الهوة بين خطاب الحرية والممارسة الاستعمارية كانت أعمق مما تخيل الكثيرون، ومع ذلك فإن استحضار هذه المجازر اليوم لا ينبغي أن يكون مناسباً لإحياء الكراهية، أو تغذية الأحقاد بين الشعوب، بل فرصةً أخلاقية لفهم التاريخ بوعي إنساني ناضج، فالأمم الراقية لا تبني ذاكرتها على الانتقام، وإنما على الاعتراف بالحقيقة، وصون كرامة الضحايا، وتحويل الألم إلى درس يحمي الأجيال القادمة من تكرار نفس المآسي.

إن الحديث عن مجازر ماي ليس حديثاً عن شعب ضد آخر، ولا عن عرق في مواجهة عرق آخر، بل عن حق الإنسان في الحياة والحرية والعدالة، فالتاريخ مهما كان قاسياً يجب أن يُنظر له بعين الإنصاف بعيداً عن التعنيف والخطابات المتطرفة التي تختزل الشعوب في أخطاء السياسة والحروب، لقد كان بين الفرنسيين أنفسهم من رفضوا القمع ونددوا بالعنف، كما كان بين الجزائريين من آمنوا دوماً بقيم الحوار والإنسانية، و تبقى الذاكرة الجزائرية رغم كل ما حملته من وجع ذاكرةً حية لا تبحث عن استدعاء الألم بقدر ما تبحث عن تثبيت الحقيقة في وجدان الزمن؛ لأن الشعوب التي تنسى مآسيها مهددة بتكرارها، أما الشعوب التي تتذكر بوعي ومسؤولية فهي الأقدر على صناعة مستقبل أكثر عدلاً وسلاماً

إن مجازر الثامن من ماي لم تكن مجرد حادثة عابرة في أرشيف التاريخ، بل كانت نقطة تحولٍ كبرى مهدت لولادة وعي وطني جديد، وأصبحت رمزاً لمعاناة شعب تمسك بحقه في الحرية رغم القهر، وبعد عقود طويلة ما زالت تلك الأرواح التي سقطت في سطيف وقالمة وخراطة تهمس في ذاكرة الوطن؛ لأن الكرامة الإنسانية لا تسقط بالتقادم، وأن الدم حين يُراق ظلماً يتحول مع الزمن إلى شهادة خالدة في ضمير الإنسانية.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، وعاشت الجزائر حرةً مستقلة تتمتع بكرامتها وسيادتها.

باريس أو الأدب كهوية عابرة للحدود

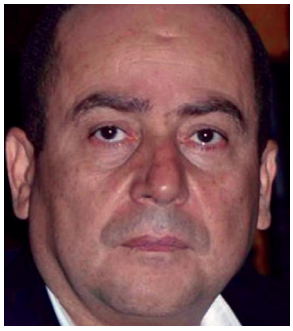

أ.محمد زيتوني
كاتب وصحفي من المغرب

ليست باريس مجرد فضاء جغرافي تُقام فيه الحياة، بل كيان رمزي يعيد تشكيل من يسكنه، منذ أن وطئتُها قبل أربعين سنة، كمغربي يحمل أسئلة الهوية والانتماء، أدركت أنني لا أعيش في مدينة، بل داخل نصٍّ مفتوح، تُكتب فصوله في المقاهي، والمدرجات الجامعية، وعلى ضفاف نهر السين حيث تختلط حركة الماء بإيقاع الفكر

باريس لا تُقرأ فقط، بل تُكتب قاطنيها، هنا، حيث سار فيكتور هوغو وهو يُشيّد عالم البؤساء، وحيث حوّل شارل بودلير الشارع الباريسي إلى قصيدة حداثية في أزهار الشر، يصبح الأدب ضرورة لفهم هذا الكائن الحضري المعقّد، لم يكن الأدب بالنسبة لي ترفا، بل أداةً لفهم الذات والعالم؛ هو تحويل التجربة إلى معنى، والواقع إلى لغة، والقلق إلى سؤال مفتوح.

أما الأدباء، فهم أولئك الذين يمتلكون حساسية خاصة تجاه زمنهم، ويحوّلون تفاصيله إلى رؤية، في هذا الأفق، حيث تتقاطع أيضاً آثار جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار، أدركت أن الكاتب ليس شاهداً محايداً، بل فاعلاً في تشكيل الوعي.

كطالبٍ مغربي، كان مساري موزعاً بين فضاءات تحمل كل منها دلالةً خاصة، في دار المغرب بالدائرة الرابعة عشرة، كنا نستعيد شيئًا من الوطن ونخفف من وطأة الغربة، بينما في الحي الجامعي الدولي بباريس كنت أعيش تجربةً كونية حقيقية، حيث تتجاور الثقافات وتتشابك اللغات، لم تكن الحياة الجامعية تقتصر على الدروس، بل كانت تمتد إلى الشارع، إلى التظاهرات، وإلى النقاشات التي لا تنتهي، وإلى التجوال الطويل على ضفاف السين، حيث يعرض باعة الكتب عوالم كاملة في صناديق صغيرة، وكأن المدينة تُهدي ذاكرتها لمن يمر بها، هناك، لم تكن القراءة نشاطاً فردياً، بل شكلاً من أشكال العيش المشترك.

شكّلت سنة 1989 لحظةً استثنائية في علاقتي بباريس، حين احتفلت المدينة بالذكرى المئوية الثانية لـ الثورة الفرنسية، خلال تلك السنة، تحوّل مركز بومبيدو إلى مدرسة تاريخ مفتوحة، حيث أعادت المعارض الفنية والتوثيقات السمعية البصرية قراءة تلك اللحظة المفصلية في تاريخ فرنسا، أما ساحة بوبور، فقد كانت فضاءً حياً للنقاش الحر، يلتقي فيه أشخاص من أصول وأعمار مختلفة، يتجادلون بلا وساطة، ويجعلون من الاختلاف مادةً يومية للفهم، هناك، لم تكن الحرية مفهوماً مجرداً، بل ممارسة تُعاش في الكلمة، وفي الحضور، وفي القدرة على الإصغاء.

على امتداد أربعة عقود، لم تكن باريس مجرد إقامة طويلة، بل تجربة وجودية مركبة؛ فهي من جهة منفى، بما يحمله من حنين دائم إلى المغرب، ومن جهة أخرى وطنٌ بديل يمنحك حرية التفكير والتعبير، في هذا التوتر بين الانتماءين، تشكّلت رؤيتي للكتابة: كتابة تعبر الحدود، وتبحث عن المشترك الإنساني دون أن تتخلى عن الجذور، لقد علمتني باريس أن الهوية ليست معطى ثابتاً، بل سيرورة مستمرة، تُغتنى بالاختلاف وتُصاغ في الاحتكاك بالآخر.

ومن خلال احتكاكي بالطلبة والمثقفين، ومن خلال حضوري في الفضاءات الثقافية، أدركت أن الأدب يمكن أن يكون جسراً حقيقياً بين الشعوب، ليس فقط لأنه ينقل الحكايات، بل لأنه يخلق إمكانية الفهم المتبادل، باريس، بهذا المعنى، ليست فقط عاصمةً للأدب، بل مختبراً للعيش المشترك، حيث يتجاور المختلفون ويتحاورون، وأحياناً يتصادمون، لكنهم في النهاية يساهمون في صياغة سردية إنسانية أوسع.

بعد أربعة عقود، أستطيع القول إن رحلتي في باريس لم تكن مجرد مسار شخصي، بل تجربةً فكرية وإنسانية عميقة، لقد جئت طالباً أبحث عن معرفة، فوجدت نفسي داخل ورشة مفتوحة لصياغة الذات، باريس لا تعطيك أجوبةً جاهزة، لكنها تمنحك شيئاً أثمن: القدرة على طرح الأسئلة، وربما، في نهاية المطاف، ليست قيمة هذه المدينة في ما تقدّمه من يقين، بل في ما تزرعه من قلقٍ خلاق، يدفعك إلى إعادة اكتشاف نفسك والعالم من حولك، حتى تصبح المدينة سيرةً ذاتيةً موازية، لا تُكتب بالحبر فقط، بل تُعاش في التفاصيل، وتتشكل في المسافة بين ما كنا عليه وما نصير إليه.

وليس من قبيل الصدفة أن يرتبط اسم باريس بعلاقة حميمة مع كبار المفكرين والفنانين من مختلف أنحاء العالم، من كارل ماركس إلى طه حسين، ومن فنسنت فان غوخ إلى إرنست همنغواي وصامويل بيكيت وبابلو بيكاسو، ورغم أن عواصم أوروبية أخرى، مثل لندن وبرلين وروما، حاولت أن تتصدر المشهد الأدبي العالمي، فإن باريس ظلت، إلى حدٍّ بعيد، قاطرته الرمزية ومختبره المفتوح.

وفي هذا السياق، شكّلت تجربتي داخل اتحاد الإعلاميين والكتاب العرب بأوروبا محطةً أساسية في مساري، حيث انخرطت في فضاء يجمع إعلاميين وأدباء من مختلف الأقطار العربية، يتقاسمون همّ الكتابة وأسئلة الهوية والاغتراب، ومن خلال هذه التجربة، ولا سيما عبر مجلة كل العرب، تعزز لديّ الإحساس بأن الأدب ليس فقط تعبيراً فردياً، بل فعل جماعي يساهم في بناء جسر ثقافي بين العالم العربي وأوروبا، ويمنح الكلمة العربية امتداداً جديداً في فضاءٍ كوني.

حين يصبح الاختلاف خيانة

أ.خالد الحديدي

كاتب وناقد من مصر

هناك جملة تبدو للوهلة الأولى عادية، تُقال في السياسة كما تُقال في النقاشات اليومية، لكنها في الحقيقة واحدة من أكثر الجمل التي أرهقت الإنسان وأفسدت العلاقات وأغلقت أبواب التفكير: «إذا لم تكن معي فأنت ضدي».

كلما تأملتُ هذه العبارة شعرتُ أنها ليست مجرد انفعال عابر، بل ثقافة كاملة تسكن وعينا منذ سنوات طويلة، ثقافةٌ ترى العالم بلونين فقط، وتتعامل مع البشر باعتبارهم معسكرات متقابلة لا أرواحاً مختلفة.

المؤلم أن هذه الفكرة لم تعد حاضرة فقط في الأنظمة السياسية أو الجماعات المتشددة، بل أصبحت جزءاً من الحياة اليومية العادية، نراها في البيت، وفي الجامعة، وفي مواقع التواصل، وفي النقاشات الثقافية، وحتى بين الأصدقاء الذين كانوا يضحكون معاً يوماً ما.

أعرف صديقين افترقا تماماً بسبب خلاف سياسي، كانا قريبين بصورة تثير غيرة الآخرين؛ يسافران معاً، يتشاركان الكتب والأسرار والذكريات، ثم جاءت لحظة نقاش واحدة، تحوّل فيها الخلاف إلى معركة كرامة، أحدهما قال للآخر:

(إنت اتغيرت)، ومن يومها انتهت الصداقة، كلما تذكرت الأمر شعرت بالحزن، ليس لأنهما اختلفا، فالاختلاف طبيعي؛ بل لأنهما لم يعودا قادرين على رؤية الإنسان خلف الرأي.

وهنا تكمن الأزمة الحقيقية، حين تتحول الأفكار إلى هويات مغلقة، يصبح أي اختلاف تهديداً شخصياً، لا يعود الإنسان يسمع الفكرة، بل يسمعها كأنها طعنة موجهة إليه، ولهذا تصبح جملة بسيطة كفيلة بإشعال كراهية كاملة.

أحياناً أراقب النقاشات على مواقع التواصل فأشعر أننا لم نعد نتحاور أصلاً، الجميع يدخل النقاش وفي يده سكين معنوي، لا أحد يريد أن يفهم، الكل يريد الانتصار فقط، إذا تحدث شخص عن الحرية، اتهموه بالخيانة، وإذا تحدث آخر عن الدين، اتهموه بالتطرف، وإذا حاول أحد أن يقف في المنتصف، هاجمه الطرفان معاً.

كأن مجتمعاتنا لم تعد تتحمل الإنسان المركّب؛ الإنسان الذي يمكن أن يجمع بين أشياء متعددة دون أن يتحول إلى نسخة متطابقة مع أي جماعة، أحياناً أشعر أن الناس لا تخاف من الرأي المختلف بقدر ما تخاف من اهتزاز يقينها الداخلي، فالإنسان الواثق من فكرته لا يحتاج إلى الصراخ طوال الوقت، ولا إلى تخوين الآخرين كي يشعر بالأمان، أما حين يكون اليقين هشاً، فإنه يتحول إلى عصبية وعداء.

ولهذا فإن عبارة: «إذا لم تكن معي فأنت ضدي» ليست دليل قوة كما يظن البعض، بل غالباً دليل خوف، الخوف من السؤال، الخوف من المراجعة، الخوف من الاعتراف بأن الحقيقة أكبر من الجميع.

أتذكر مرةً أن أحد الطلاب في الجامعة طرح سؤالاً بسيطاً على أستاذه، سؤالاً فيه محاولة للفهم لا للاستفزاز، لكن الأستاذ غضب بصورة مبالغ فيها، وكأن السؤال إهانة شخصية له، لم يكن غاضباً من السؤال نفسه، بل من فكرة أن أحداً تجرأ على مناقشة ما يعتبره «حقيقة مستقرة»، خرج الطالب يومها صامتاً، وربما تعلّم درساً خطيراً: «لا تسأل كثيراً كي تنجو».

وهكذا تبدأ المأساة بصمت.

نحن لا ندرك كم من العقول خافت أن تفكر بصوتٍ مرتفع، وكم من الأشخاص أخفوا أفكارهم الحقيقية كي لا يخسروا وظائفهم أو أصدقاءهم أو حتى عائلاتهم، أعرف فتاة كانت تحب القراءة والفلسفة وتسأل كثيراً، لكن كل سؤال كانت تقابله عبارات مثل: لا تكثري التفكير، هذه الأفكار خطيرة، لماذا تعقدين الأمور؟ مع الوقت بدأت تخاف من التعبير عن نفسها، وصارت تختار الصمت حتى في الأشياء التي تؤلمها.

كم شخصاً يعيش الآن بهذه الطريقة؟

كم إنساناً تحول إلى نسخة صامتة من نفسه فقط لأنه لم يجد مساحة آمنة للاختلاف؟

المشكلة أن مجتمعاتنا كثيراً ما ترتّي الناس على الطاعة أكثر من التفكير.

في البيت يُكافأ الطفل الهادئ المطيع، لا الطفل الفضولي، وفي المدرسة يُكافأ الحفظ أكثر من السؤال.

وفي بعض البيئات الدينية يُنظر إلى الشك الطبيعي باعتباره ضعف إيمان لا بداية بحث، ثم نتعجب بعد ذلك لماذا يخاف الناس من الاختلاف!

لقد تربينا، بشكلٍ أو بآخر، على أن القبول الاجتماعي أهم من الصدق مع الذات، ولهذا يصبح كثير من الناس مستعدين للتخلي عن آرائهم الحقيقية كي يشعروا بالأمان داخل الجماعة.

أذكر أن أحد الكتّاب كتب مرةً مقالاً يحاول فيه فهم وجهة نظر الطرف الآخر في قضية سياسية شائكة، لا الدفاع عنه، فقط محاولة للفهم، لكن الهجوم عليه كان عنيفاً جداً، البعض اتهمه بالعمالة، والبعض قال إنه خان القضية.

وقتها فكرت: كيف وصلنا إلى مرحلة أصبح فيها (الفهم) نفسه جريمة؟

هذه الثقافة لا تقتل الحوار فقط، بل تقتل التعاطف الإنساني أيضاً، لأنك حين ترى الآخر مجرد خصم، تتوقف عن رؤيته كإنسان له خوفه وضعفه وظروفه وتجربته المختلفة، ولهذا أصبحت القسوة أسهل من أي وقتٍ مضى، يكفي أن يختلف معك شخص حتى تنزع عنه صفته الإنسانية بالكامل.

أنظر إلى النقاشات السياسية مثلاً، كل طرف يعتقد أنه يحتكر الوطنية، المعارض يتهم المؤيد بالعبودية، والمؤيد يتهم

المعارض بالخيانة، وفي النهاية يضيع الوطن نفسه وسط هذا الضجيج.

الأمر نفسه يحدث في الدين، هناك من يظن أن أي اجتهاد مختلف تهديد للعقيدة، وأن الإيمان لا يُحمى إلا بالخوف والإقصاء، بينما الحقيقة أن الإيمان القوي لا يخاف من السؤال، بل أن أعظم العقول الدينية والفلسفية في التاريخ كانت تسأل باستمرار، السؤال ليس عدو الإيمان، بل قد يكون أحياناً طريقاً أعمق إليه.

لكن ثقافة: إذا لم تكن معي فأنت ضدي لا تحتمل التعقيد، إنها تريد عالماً بسيطاً وسهلاً: خيرٌ مطلق وشرٌ مطلق، معنا أو ضدنا، أبيض أو أسود، بينما الحياة الحقيقية أكثر تعقيداً وإنسانية من ذلك بكثير.

لكن العقلية الثنائية لا تفهم هذه المساحات الرمادية؛ لأنها تخاف الإنسان الحر، الإنسان الحر مزعج دائماً، لأنه لا يصفق تلقائياً، ولا يكرر الشعارات بسهولة، ولا يرى العالم بعين الجماعة فقط، ولهذا كثيراً ما يُحاصر المثقف أو الكاتب أو الفنان بالتخوين والتشويه، ليس لأنهم دائماً على حق، بل لأنهم يكسرون حالة الطاعة الجماعية.

أتذكر مرة لقاءً تلفزيونياً مع فنان تحدث عن أهمية التعايش واحترام الاختلاف، فانهالت عليه التعليقات الغاضبة من كل الاتجاهات، بعضهم اتهمه بأنه يذيب الهوية، وآخرون اعتبروه ضعيف الموقف، كأن الدعوة إلى الإنسانية أصبحت تحتاج شجاعة استثنائية.

الأمر الأكثر حزناً أن هذه العقلية تجعل الإنسان يعيش في حالة حرب دائمة مع العالم، دائماً هناك عدو يجب كرهه، ومعركة يجب خوضها، وخندق يجب الوقوف فيه، ومع الوقت تتعب الروح.

لكننا، للأسف، نعيش في زمن أصبح فيه التراجع عن الخطأ أصعب من الاستمرار فيه؛ لأن الجماعة لا تغفر بسهولة لمن يغيّر رأيه، وهذا أحد أخطر السجون النفسية التي نصنعها لأنفسنا.

أحياناً أعتقد أن كثيراً من الناس لا يدافعون عن أفكارهم لأنهم مقتنعون بها فعلاً؛ بل لأنهم يخافون خسارة الجماعة التي ينتمون إليها، فالانتماء يمنح الإنسان شعوراً بالأمان، حتى لو كان الثمن هو التنازل عن حريته الداخلية، لكن الحضارات لا تتقدم بالطاعة العمياء.

كل تطور إنساني كبير بدأ بشخص سأل سؤالاً مختلفاً، أو رفض فكرة سائدة، أو امتلك شجاعة التفكير خارج القطيع، ولو كان العالم يُدار بعقلية: إذا لم تكن معي فأنت ضدي، لما تطورت العلوم، ولا الفلسفات، ولا الفنون، ولا حتى القيم الإنسانية نفسها.

التقدم يبدأ حين نعترف بأن الإنسان ليس نسخة واحدة، وأن الاختلاف ليس خطراً بالضرورة، وأن الحقيقة لا يسكنها شخص واحد ولا جماعة واحدة.

ما نحتاجه اليوم ليس فقط حرية كلام، بل ثقافة تحترم هذه الحرية فعلاً، نحتاج أن نتعلم كيف نستمع دون خوف، وكيف نختلف دون كراهية، وكيف نناقش دون أن يتحول النقاش إلى معركة إلغاء، نحتاج أن نعيد للإنسان قيمته قبل الأيديولوجيا؛ لأن أسوأ ما يمكن أن يحدث لأي مجتمع هو أن يصبح أفراده متشابهين ظاهرياً، خائفين داخلياً، عاجزين عن التعبير عن أنفسهم إلا داخل الحدود التي ترسمها الجماعة، عندها يموت الإبداع بهدوء، ويموت التفكير، وتتحول الحياة إلى تكرار طويل للأصوات نفسها.

وفي النهاية، أظن أن أخطر ما في عبارة: إذا لم تكن معي فأنت ضدي أنها لا تدمر الآخرين فقط، بل تدمر صاحبها أيضاً، تحوله تدريجياً إلى إنسان لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا صدى أفكاره، ولا يحتمل وجود عالم أوسع من يقينه الخاص.

بينما الحياة، في جوهرها، أرحب من كل المعسكرات، والإنسان أعمق من كل التصنيفات، والحقيقة، مهما ظننا أننا امتلكناها، ستظل أكبر من الجميع.

د. علي زين العابدين الحسيني
كاتب وأديب مصري

مُـــدَّخَـــر الـــوجـــدان (3)

حسين بافقيه

افتقدتُ قبل مدةٍ حالاتِ أستاذنا حسين بافقيه التي ينشرها على الواتساب نحو أسبوعين، ولستُ ممّن يُقحم نفسه في حياة الآخرين؛ فلعلّ له ظروفاً خاصة، لكن طول الغياب حملني على أن أسأله بطريقة غير مباشرة إذ أرسلتُ له صورة المقهى التي كنّا نجلس فيها في القاهرة بالمهندسين، فأجابني بما كنت أودّ معرفته: أنه لولا انشغاله بتأليف كتابه الجديد لكان هناك.

هذا الكتاب الذي سيطرحه الأستاذ الكبير بافقيه في مطلع السنة الهجرية في شهر المحرّم القادم هو ما شغله واستأثر بكل وقته، ومنعه من نشر درره اليومية، التي لا يطيب يومنا إلا بقراءتها، وتأمّلتُ كيف يستجمع الرجل قواه، ويتفرّغ له تماماً، وحسين بافقيه إذا كتب أبهر، وكتاباته تحمل الجديد، لا في مادتها العلمية فحسب، بل في عناوينها أيضاً؛ فتجد عنواناً ظريفاً تقف عنده طويلاً، أعود إلى حالاته وخواطره، فقد أفدتُ منها كثيراً، وهو قارئٌ نهم يأتيك بالجديد، ولا أدري: هل يُسجّل هذه الخواطر التي ينثرها بأريحية؟ فهي تصلح مادةً غنيّةً لكتابٍ يجمع بين فنون شتّى؛ فتراه يُقلّب نظرك بين كتابٍ تراثيٍّ أو رواية، وبين نقدٍ أو مراجعة أو ترجمة عالم.

أعتزّ بأستاذيّة الأستاذ حسين بافقيه، وأحرص على لقائه والتواصل معه بانتظام، وقد أفدتُ منه في معرفة واقع الحركة الثقافية في الحجاز واتصالها بالثقافة المصرية، إلى جانب سير الأدباء وكبار كتاب الوطن العربي، ومعرفة الكتب والمجلات.

حسين بافقيه: أديبٌ جامع، وكاتبٌ مثقّف، وناقدٌ بصير، ومُربٍ ذائق، وقارئٌ موسوعيّ، يجمع بين الصنعة العلمية والروح الأدبية والحس النقدي، ويؤدي رسالته في هدوءٍ تام وانصرافٍ صادق.

ولعلّ ما أكتبه اليوم عن الأستاذ حسين بافقيه ليس بدء معرفة، وإنّما امتداداً لصورةٍ قديمةٍ رسمتُها له من قبل، يوم كتبتُ عنه حديثاً أول، لم أكن أظنّ أن الأيام ستزيده وضوحاً، إذ كتبت قديماً: «ومن آخر من لقيتُ من أعيان السادة (باعلوي): أستاذنا الأديب الكبير السيد حسين بافقيه، فقد اجتمعتُ به في القاهرة كثيراً، وانتفعتُ به انتفاعاً عظيماً، ووجدتُه على سنن أجداده في الكلام: حكمةً في العبارة، وسمتٌ في الحديث، وتؤدةٌ تدلّ على عمق الرؤية وسكينة النفس، وهو مع ذلك ذو جرأةٍ في طرح آرائه، ووضوحٍ في نقده، واعتزازٍ ظاهرٍ بنفسه وانتمائه، لا يُداهن ولا يُجامل على حساب القناعة، ولا يُخفي رأيه إذا رآه حقاً وإن خالفه فيه الناس، يجمع في أدبه بين أصالة الهوية وسعة الاطلاع، وفي حضوره بين هيبة المفكر وأريحية الأديب، ولهجة الواثق، ونبرة الصدق، ووضوح النية، سريع الفهم، حاضر الجواب، قريب المأخذ، كريم المعشر، لا يَقبل الاستغفال ولا يُجيد التزلّف، من عرفه علم أن وراء هدوئه قدراً

كبيراً من الصرامة في المبادئ».

الصحف والمجلات الإقليمية

لا يزالُ خاطِري معلَّقاً بما ذكره أستاذُنا أبو حسام محمد رجب البيومي في كتابه «حديث القلم»، ص299، إذ يقول متعجّباً من أثر الصحافة الإقليمية في زمنٍ مضى: «إن مدينة صغيرة كبلقاس كانت تصدر ثلاث صحائف، هي: (الوفاق) و(الواجب) و(النهار)، وكان زعماء مصر إذ ذاك يمدّونها بأحاديثهم، فتسارع صحف العاصمة إلى نقلها أو تلخيصها!».

وفي هذه الإشارة ما يستحق الوقوف طويلاً، فإنّ ظاهرة الصحف والمجلّات الإقليمية عند أدباء القرن الماضي بابٌ واسع من أبواب التاريخ الأدبي والثقافي لم يُفتح كما ينبغي؛ فقد كانت مدنٌ صغيرة كـ«بلقاس» بمحافظة الدقهلية تضجّ بحركة فكرية وأدبية، وتحتضن منابر تُنشر فيها المقالات النقدية، والخواطر الفكرية، والمحاورات الأدبية، وألوان من الكتابة لا تزال حبيسة الأعداد القديمة، لم تمتدّ إليها يد الجمع والتحقيق.

وقد رجعتُ إلى بعضها، فوجدتُ فيها كنوزاً مطمورة، وأسماءً أدبية لم تنل حظّها من الدراسة، وقد وجدت في بعضها بدايات كبار الكتّاب، وسجالات فكرية ونقدية تكشف عن ملامح عصرٍ بأكمله، ومن هنا أرى أنّ من المهم أن يُوجَّه طلاب الماجستير والدكتوراة بكليات اللغة العربية والآداب إلى دراسة أدب الكتّاب الذين احتضنتهم هذه المجلات والصحف الإقليمية؛ فإنّ في ذلك إحياءً لذاكرة ثقافية منسية، واستدراكاً على مركزيةٍ مفرطة جعلت الأضواء لا تقع إلا على صحافة القاهرة، مع أنّ الأطراف كثيراً ما كانت تخبّئ ما لا يقلّ قيمةً وأثراً، ولعلّ من أجمل ما تكشفه هذه الظاهرة: أنّ لثقافة الأقاليم يومئذٍ صوتاً مسموعاً، وأثراً يتجاوز حدودها الجغرافية إلى صناعة الرأي والأدب.

محمد أحمد العزب

كان أستاذي محمد رجب البيومي يتردّد كثيراً على صديقه الوفي الأستاذ الدكتور محمد العزب في قريته الهادئة بالمنصورة، وفيها كانا يتبادلان الأحاديث الثقافية، وينشدان الشعر، ويقضيان لياليَ عامرة بالحديث عن الأدب والفكر وأهله، وقد أُعجب أستاذنا بتلك القرية أيّما إعجاب، وذكر لي أنها تزخر بعددٍ من الشعراء والمثقفين والمهتمين بالأدب، وأذكر أنه كتب مقالاً عنها، كتب فيه أن بها بيئةً خصبة للمعرفة، وإن كانت بعيدة عن دوائر رصد الحياة الثقافية بالأرياف.

ولطالما تمنّيتُ لو أن بيننا مؤرّخين من أهل الأقاليم يُعنون بمثل هذه القرى، فيجمعون أسماء مثقفيها، ويُبرزون أثرها؛ ليدرك الناس أن العلم ليس حكراً على المدن الكبيرة، وأن الثقة بالنفس العلمي لا تُبنى إلا حين يُنصف التاريخ هذه المواطن التي أنجبت كثيراً من العظماء في صمت، والشيء بالشيء يُذكر: لا يمكن أن تُحجب الروح الأدبية برداء الصفة الأكاديمية، فكم من أستاذٍ جامعي تجفّ عنده القريحة، وتنقطع الصلة بينه وبين نبض الكلمة، لكن أستاذي البيومي وصديقه العزب لم يكونا من هذا الصنف، فعلى الرغم من كونهما من أساتذة الجامعة الأزهريّة، فقد ظلّ اتصالهما بالحياة الثقافية والمنتديات الأدبية حيّاً لا ينقطع؛ لأن كليهما كان يُحرّكه وجدانٌ شاعري، ونفسٌ نقدية، وروحٌ ما زالت تؤمن بأن الكلمة تعاش.

بالأبيض والأسود

د. زهرة بوسكين
إعلامية من الجزائر

حين نمتطي الحصان الميت

كثيراً ما نركب حصاناً يمضي بنا صوب وُجهات مختلفة وأهداف رسمناها من نقطة الانطلاق، وكثيراً ما نُصر على مواصلة البقاء على ظهر الحصان، حتى لو كان منهكاً أو ميتاً.

هي صورة باهتة ومتشائمة، لكنها تعكس اضطراباً ذو أبعاد كثيرة يستعمل في التسيير الإداري أكثر من غيره، من خلال استعارة هذه العبارة لوصف حالة الإصرار على مواصلة مشروع لم ينجح أو فكرة فاشلة، في حين أن هذا التناذر ينطبق على مختلف مجالات الحياة، بدءاً من العلاقات الاجتماعية وآثارها النفسية على الفرد، وظواهر أخرى متعددة، فمثلاً في العلاقات الأسرية قد يصر زوجان أو أحدهما على التشبث بالعلاقة، حتى لو كانا منفصلين نفسياً وفعلياً؛ للحفاظ فقط على صورة اجتماعية تدخل في نمطية الحياة العادية، أو لأجل الأولاد مثلاً، أو خوفاً من مواجهة حالة مختلفة، فهنا يمتطي أحدهما أم كلاهما حصاناً ميتاً، ويصر على المواصلة، حتى إذا لم يصل إلى أي هدف، فهو يرى الوضع أنسب، وتُصادفنا كثيراً هذه الحالات في المجتمع، وقد يُفضل الفرد أيضاً امتطاء حصانٍ ميتٍ من منطلق الصبر الذي يُعد قيمةً إنسانية راقية، لكنها تضر بصاحبها إذا أصبحت ضمن حالة سامة يعيشها، وقد يعتبر البعض ذلك نوعاً من التحدي من أجل تحقيق أهداف معينة، لكنه في الحقيقة يبحث عن مبررات تقيه من ذنب اختيار مسار لا يوصل إلى هدف والبقاء على ظهر حصان توقف عن الركض وهو خارج السباق، ويحدث نفس الوضع في بيئة العمل التي تعد خصبةً بالمتغيرات ذات التاثير المباشر على النفسية وعلى السلوك، فقد يكون الإصرار على المواصة في مشروع تغيرت عوامل نجاحه وفقد جدواه، وهنا يصير البقاء على ظهر الحصان الميت مُتعباً ومرهقاً، حيث بدلاً من تغيير الاستراتيجية، يقوم صاحب المشروع بتغيير العناصر فقط، فيبقى الحصان الميت على قيد الوجود في بوتقة الفكرة..

وهنا أتساءل: كم من حصانٍ ميتٍ يمتطيه الآن كل واحدٍ منا؟

وهل قدرنا المسافة التي توقفنا عند حواجز القفز؟..

أريد سرجاً جديداً لأرتقي إلى الأمنيات.

تأملات وراثية
بين علم التغذية الجينية والوراثة الغذائية

د.سناء جاء بالله
نائبة رئيس الجمعية التونسية لتضامن الشعوب

يُعدّ الغذاء من أبرز العوامل البيئية المؤثرة في صحة الإنسان، إذ لا يقتصر دوره على تزويد الجسم بالطاقة والعناصر الغذائية الأساسية، بل يمتد تأثيره إلى المستوى الجزيئي ليشمل تنظيم التعبير الجيني والتأثير في نشاط الجينات. وقد أسهم التطور المتسارع في علوم الوراثة والبيولوجيا الجزيئية في نشوء مجالين مترابطين هما علم التغذية الجينيّة (Nutrigenomics)، الذي يدرس تأثير المكونات الغذائية في تنظيم التعبير الجيني ودوره في الوقاية من الأمراض وتعزيز الصحة، وعلم الوراثة الغذائية (Nutrigenetics)، الذي يختص بدراسة تأثير التباينات الجينية الفردية في استجابة الجسم للعناصر الغذائية واستقلابها.

يرتكز علم التغذية الجينيّة على فرضية أن بعض المكونات الغذائية تعمل كجزيئات إشارية قادرة على تعديل التعبير الجيني من خلال تنشيط جينات معينة أو تثبيطها. فعلى سبيل المثال، تُظهر الأحماض الدهنية أوميغا3- الموجودة في الأسماك الدهنية مثل السلمون والسردين والتونة قدرة على تعديل التعبير الجيني المرتبط بالاستجابة الالتهابية، بما في ذلك جينات مثل TNF-α وIL-6، والتي تلعب دورًا محوريًا في تنظيم الالتهاب المزمن وأمراض القلب والأوعية الدموية. كما يُعد مركب السلفورافان الموجود في الخضروات الصليبية مثل البروكلي والكرنب من المحفزات المهمة لعامل النسخ NRF2 المسؤول عن تنشيط مسارات الدفاع المضاد للأكسدة داخل الخلايا، وهو ما يساهم في الحد من مخاطر الأمراض التنكسية وبعض أنواع السرطان.

وفي السياق ذاته، تشير الأدلة البحثية إلى أن مركب الكركمين المستخلص من الكركم قد يؤثر في مسارات الإشارة الخلوية المرتبطة بالالتهاب، وعلى رأسها مسار NF-κB، الذي يرتبط بتنظيم الاستجابة الالتهابية وتطور عدد من الأمراض المزمنة، بما في ذلك التهاب المفاصل الروماتويدي. كما أظهرت الدراسات أن الشاي الأخضر يؤثر في التعبير الجيني لإنزيمات مضادة للأكسدة، مثل SOD2، الذي يُعد عنصرًا أساسيًا في حماية الخلايا من الإجهاد التأكسدي. ومن جهة أخرى، قد تسهم الأنظمة الغذائية الغنية بالدهون المشبعة في تعديل التعبير الجيني المرتبط باضطرابات استقلاب الدهون، بما في ذلك الجين APOE، الذي يلعب دورًا محوريًا في نقل الكوليسترول والدهون، ويرتبط أيضًا بزيادة القابلية للإصابة بمرض ألزهايمر.

تتشابه جميع خلايا جسم الإنسان في امتلاكها المادة الوراثية ذاتها (DNA)، إلا أن أنماط التعبير الجيني تختلف تبعًا للعوامل البيئية ونمط الحياة. ويُعد الغذاء أحد أهم العوامل المؤثرة في التعديلات فوق الجينية (Epigenetics)، لا سيما من خلال تأثيره في عمليات مثيلة الحمض النووي. فعلى سبيل المثال، يؤدي نقص حمض الفوليك وفيتامين B12 إلى اضطراب في مسارات المثيلة، مما قد ينعكس سلبًا على تنظيم انقسام الخلايا ويرتبط بزيادة خطر الإصابة بأمراض القلب والأورام الخبيثة. كما تشير الأدلة إلى أن التغذية خلال المراحل المبكرة من الحياة، وخاصة أثناء الحمل، قد تُحدث تغييرات دائمة في برمجة جينات الأيض لدى الجنين، وهو ما يرتبط بزيادة احتمالات الإصابة بالسمنة وداء السكري في مراحل لاحقة من الحياة، فيما يُعرف بظاهرة «البرمجة الجنينيّة».

وعلى الرغم من وجود استعدادات وراثية لدى بعض الأفراد للإصابة بالأمراض المزمنة، فإن هذا الاستعداد لا يُعد عاملًا حتميًا للإصابة. فعلى سبيل المثال، يرتبط الجين FTO بتنظيم الشهية وتخزين الدهون، إلا أن تبني نمط غذائي صحي منخفض الدهون والسكريات، إلى جانب ممارسة النشاط البدني المنتظم، يمكن أن يحد بشكل ملحوظ من تأثير هذا الجين على زيادة الوزن. وبالمثل، يُعد الجين TCF7L2 من العوامل الوراثية المرتبطة بزيادة

خطر الإصابة بداء السكري من النوع الثاني، إلا أن اتباع نظام غذائي غني بالألياف وتقليل استهلاك السكريات البسيطة يسهم في تحسين حساسية الإنسولين وتقليل هذا الخطر. وفيما يتعلق بأمراض القلب والأوعية الدموية، فإن الطفرات في الجين LDLR، المسؤول عن تشفير مستقبلات البروتين الدهني منخفض الكثافة (LDL)، تؤدي إلى خلل في إزالة الكوليسترول الضار من الدم، مما يسبب فرط كوليسترول الدم. ومع ذلك، فإن الالتزام بنظام غذائي منخفض الدهون المشبعة والكوليسترول قد يساهم في تخفيف شدة الحالة. كما تُعد الطفرات في الجين MTHFR من العوامل المؤثرة في استقلاب حمض الفوليك، وقد تؤدي إلى ارتفاع مستويات الهوموسيستين، وهو عامل خطر مرتبط بزيادة احتمالية الإصابة بالجلطات القلبية الوعائية، ومضاعفات الحمل، وبعض الاضطرابات العصبية، ويمكن تحسين هذه الحالة من خلال تعزيز تناول الأغذية الغنية بالفولات، لا سيما الخضروات الورقية.

ومع التطور في تقنيات التحليل الجيني، ظهر مفهوم التغذية الشخصية (Tailored /Persona-lized Nutrition)، الذي يقوم على تصميم أنظمة غذائية مخصصة وفقًا للتركيب الجيني لكل فرد. فعلى سبيل المثال، تؤدي الاختلافات في الجين LCT، المسؤول عن إنتاج إنزيم اللاكتاز، إلى عدم تحمل اللاكتوز لدى بعض الأفراد نتيجة انخفاض نشاط هذا الإنزيم. كما تؤثر التباينات في الجين CYP1A2 في معدل استقلاب الكافيين، مما يفسر التباين في استجابة الأفراد للقهوة من حيث اضطرابات النوم أو ارتفاع ضغط الدم. كما أظهرت الدراسات أن التباينات في الجينات HLA-DQ2 وHLA-DQ8، التابعة لمستضدات كريات الدم البيضاء البشرية (HLA)، ترتبط بزيادة القابلية الوراثية للإصابة بمرض السيلياك (الداء البطني)، حيث يؤدي تناول الغلوتين إلى استجابة مناعية غير طبيعية تُلحق ضررًا بالغشاء المخاطي للأمعاء الدقيقة، ولا يُعالج هذا المرض إلا باتباع نظام غذائي صارم خالٍ من الغلوتين.

يُمثل علم التغذية الجينيّة نقلة نوعية في فهم العلاقة التفاعلية بين الغذاء والمادة الوراثية، إذ لم يعد الغذاء يُنظر إليه بوصفه مصدرًا للطاقة فحسب، بل كعامل تنظيمي قادر على التأثير في العمليات الحيوية على المستوى الجزيئي. ومن المتوقع أن يسهم هذا المجال، في المستقبل، في تطوير استراتيجيات الطب الوقائي والعلاج الشخصي من خلال تصميم تدخلات غذائية دقيقة تتوافق مع الخصائص الجينية للأفراد، بما يعزز جودة الحياة ويحد من انتشار الأمراض المزمنة.

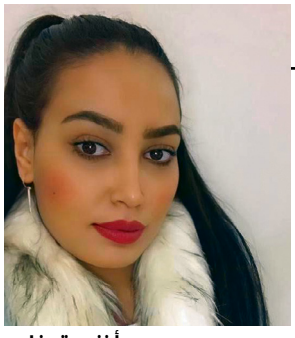

أ.نزيهة رفاعي
صحفية من المغرب

في الصميم

التفاؤل قرار لا أمنية

في أوقات القلق العام يُصبح الهدوء ميزة نادرة ويتحول التفاؤل إلى نوع من الرفاهية الراقية هذا ليس لأنه شعور سهل أوعابر بل لأنه قرار يومي واعٍ وناضج يحمي الداخل من ضجيج الخارج.

وفي زمن تتسارع فيه الأخبار الاقتصادية وتتبدل فيه المشاهد السياسية، تزداد قيمة الإنسان الذي يستطيع أن يرى المستقبل بعين متزنة وقلب مطمئن. وتتجلى هذه الرؤية بوضوح في رائد الأعمال الحقيقي فهو لا ينتظر الظروف المثالية لإيمانه بأن الكمال الاقتصادي وهم، وأن الاستقرار الكامل حالة مؤقتة في عالم سريع التغير. لذلك، لا يربط أحلامه بتوقيت مثالي، بل يبدأ بما يملك ويطور ما يستطيع ويتعلم أثناء الطريق.

تظل هذه المرونة إحدى أكثر الصفات أهمية في زمننا الحالي. نعم قد تبطئ التحديات الاقتصادية بعض الخطوات وتجعل القرارات أكثر حساسية، لكنها لا توقف أصحاب الرؤية؛ بل على العكس تماماً، فهي تدفعهم غالباً إلى بناء مشروعات أكثر ذكاءً، وأعلى كفاءةوكذلك الأقرب لاحتياجات الناس الحقيقية. ففي الفترات التي يزداد فيها حذر الأسواق، تكتب النجاة والريادة للمشروعات التي تقدم قيمة واضحةوتجربة أفضل وحلولًا صادقة.

أما التفاؤل فليس مجرد طاقة إيجابية جميلة، بل هو أسلوب قيادة متكامل إنه ينعكس مباشرة على طريقة اتخاذ القرار وعلى قدرة الفريق على الاستمرار وعلى ثقة العملاء، وحتى على نظرة المستثمرين للمستقبل. فالناس بطبيعتها تنجذب وتطمئن إلى القادة الذين يملكون رؤية واضحة وثباتاً هادئاً.

لكن التفاؤل الذي نحتاج إليه اليوم يجب أن يكون ذكياً لا حالماً، تفاؤل يقرأ الأرقام، ويستوعب المتغيرات، ويستعد للبدائل، ويؤمن بأن النجاح لا يأتي بالتمني، بل بالعمل المتقن.

فليس التفاؤل كلمة تُقال أو ابتسامة تُرسم على الوجه لتخفي ما في الداخل، بل هو موقف، وقرار حاسم بأنك لن تكون ضحية لظروفك مهما اشتدت، ولن تسمح لليأس بأن يكتب نهاية قصتك قبل أن تبدأ كتابتها. يجب أن تقف وسط الانهيار وتقول: ‹أنا ما زلت هنا›، وأن ترى الأبواب تُغلق فلا تسأل لماذا أُغلقت، بل تبحث بثقة عن الباب الذي لم يُفتح بعد، الحياة لا تجامل أحد تعطيك احياناً ما لا تريد وتأخذ منك ما تحب تضعك في مواقف لم تخترها لكن الفرق هنا ممن ينهار ويفشل ومن ينهض ويساير الظروف.

مسألة «موت الإله» في المعجم النيتشوي:
مـحـــاولـــة جـــديـــدة لـلـفـهـم

د. عبد الغاني الهيداني
جامعة ابن طفيل بالقنيطرة ـ المغرب

أورد فريدريك نيتشه عبارة «موت الإله» في سياق نقده الجنيالوجي للفكر الدوغمائي في تجلياته: العقلية، الأخلاقية واللاهوتية؛ معتبراً أن حادثة «الموت» دالة على أفول/ نهاية ظلمة حالكة أسدلت ظلالها على الذات من جهة، وسطوع/ بداية إشراقة جديدة خالية من المطلق الذي لطالما مارس وصاية سافلة على الذات، وأخص غرائزها الحيوية من جهة أخرى، لذلك، يرى هايدجر أن فكرة «موت الإله» تلخص مسار تاريخ الغرب، ومصير الحضارة الغربية خلال الألفيتين الماضيتين.

بهذا المعنى، يبدو لنا أنه في الوقت الذي أعلن فيه فريدريك نيتشه عن «موت الإله»، فإنه يتغيا خلق معنى جديد للإله، ما دامت عملية الهدم الجنيالوجي لا تنفصل عن عملية البناء، لذلك، عبر صاحب المنهج الجنيالوجي عن نقده للدين من خلال عبارته الشهيرة، والتي جاءت على لسان زرادشت «مـات الإلــه»، كما كشف عن الجانب المشرق من الدين عندما صرح قائلاً: «لا يمكنني أن أومن إلا بالإله الراقص» الذي فتح أفقاً جديداً لدينٍ ينضح بالمرح والرقص

أمام هذه المفارقة التي تطرحها علاقة فريدريك نيتشه بالإله، يمكننا طرح الأسئلة الآتية: هل يمكن الإقرار بأن عبارة «مات الإلـه» تعلن عن موقف نيتشه الإلحادي كما ادعى هايدجر؟ وما الدلالة الجنيالوجية لمسألة «موت الإله»؟ وما طبيعة «الإله» مناط الاستشكال الجنيالوجي؟

عادةً ما تقدم عبارة «موت الإله» كحجة دامغة لموقف فريدريك نيتشه الإلحادي، بحيث سجل كل من مارتن هايدجر وستيبان أوديف أن الاستشكال الجنيالوجي للإله المسيحي لا يعبر سوى عن نزعة إلحادية نيتشوية جديدة تناهض كل المثل العليا الارتكاسية.

بالمقابل، نشير إلى أنه رغم حديث نيتشه عن حرية الملحد في الشذرة 20 من المقالة الثانية ضمن مؤلفه الموسوم بـ: «جنيالوجيا الأخلاق»، عندما أكد بأن الإلحاد يمكن أن يكون إمكاناً يخلص الإنسانية من آفة الشعور بالذنب، فإنه في المقالة الثالثة)ضمن نفس المؤلف(سوف يدفع بنقده العنيف للإلحاد إلى أقصى الحدود، بحيث أبرز أن الملحد ذاته يعاني بدوره من آثار المثل العليا التي طالت العلم والعلماء تاريخيا؛ إذ إن الإلحاد، في المنظور النيتشوي، لا يتعارض مع المثل العليا كما يظهر للبعض، بل إنه التعبير عن إحدى أطواره الأخيرة من تطوره، وأحد أشكاله النهائية.

وعليه، يبدو لنا أن اعتراضات فريدريك نيتشه عن «الإلحاد der Atheismus» مردها كون الملحد ظل يراوح مكانه تحت وطأة ديانة الـ«لا» المنكرة لكل إمكانات التدين، ولم يجد لنفسه مكاناً ضمن ديانة الـ«نعم» المساهمة في تعزيز ثقة الذات في ذاتها، لذلك، أشار ياسبيرز في مؤلفه المعنون بـ«نيتشه والمسيحية»، أن فريدريك نيتشه إذ يرفض المتعالي اللاهوتي، فإنه يبحث عن إله العصر والحياة والإنسان الأسمى، ومن ثمة، لا يمكن أن تعبر حادثة «موت الإله» عن نزعة إلحادية لدى فريدريك نيتشه، بل إن المنظور الجنيالوجي يقدم إمكاناً إيمانياً جديدا؛ فالذي نادى بموت الإله الارتكاسي هو عينه من يتشوف لأفق إلهي جديد خالٍ من ضروب الارتكاس.

على هذا الأساس نفهم بأن فريدريك نيتشه إذ يوجه مطرقته النقدية العنيفة للكاهن الجديد الذي يتنكر خلف قناع العالم الملحد، فإنه أماط اللثام عن مزاعم الملحد نفسه بوصفه لا يملك توضيحاً عميقاً حول قيمة الإرادة الحرة التي يفاخرنا بها، إن الإلحاد لم يكن، إلى حد الآن سوى إيماناً أو مثالاً نسكياً مقلوباً، بحيث راح الملحد يبحث لذاته عن مكان في ساحة العدم التي خلفتها حادثة «موت الإله»، بحيث ينصب الملحد نفسه مكان الإله الذي صار شاغراً.

لنقل: عمقت النزعة الإلحادية جروح العدمية الأوروبية؛ لأنها عوض العمل على تحرير الدين من هيمنة الكنيسة، وقيمها المعادية للحياة الجسدية، وتحرير الذات من كل ضروب التقديس والعبودية، ساهمت في إرساء النموذج الأعلى للمثل الزهدي الذي أوهمتنا الحداثة الغربية بانتشاله من جذوره، لذلك، نؤكد بأن نيتشه أدان نزعة الإلحاد من حيث كونها أحد المخلفات السلبية للنزعة الدنيوية التي أدت إلى فصل الثقافة الفعالة عن لحمة الأسطورة، الإيمان الحر والآلهة النشطة بما هي عناصر فعالة قد تساهم في تأهيل الذات للإقبال على الحياة في تراجيديتها بحبٍ كبير.

وفي سياق تجديد الفهم حول دلالة الموت المرتبط بالإله في المعجم النيتشوي، نشير إلى أن فريدريك نيتشه أعلن سنة 1882، في الشذرتين: 108 الموسومة بـ«صراعات جديدة» و125 المعنونة بـ«المجنون» ضمن الجزء الثالث من مؤلف «العلم المرح»، لأول مرة عبارة «مات الإله»، وبعد أربع سنوات من ذلك، أضاف نيتشه كتاباً خامساً لـ«العلم المرح» تحت عنوان: «نحن الذين لا نخاف»، بحيث استهلت الشذرة 343 «سكينتنا» بالإعلان عن الحدث الجلل الذي شهده العلم الأوروبي، والمتمثل في «موت الإله»؛ إذ يؤكد فريدريك نيتشه بأن أعظم حدث بدأ يلقي بظلاله الأولى على أوروبا كون «الإله

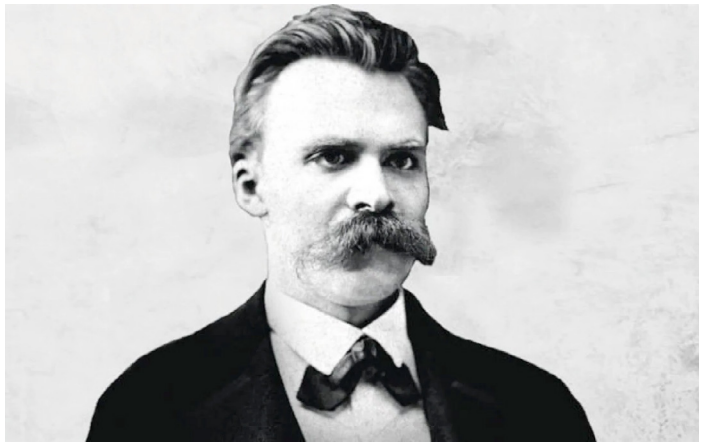

مات»، وكون الاعتقاد بـ«الإله المسيحي» لم يعد يستحق الاعتقاد.

هكذا، تفيد عبارة «موت الإله»، في بعدها الهادم، الرغبة في التخلص الدائم من عبء الروح الثقيل المحدق بالذات عن طريق هجران القيم المتعالية الإنكارية، محرراً قدراته الخلاقة بإعلانه موت كل ضروب الارتكاس، غير أن فكرة الموت، في المعجم النيتشوي، ليست سلباً مطلقاً لما كان حياً وتمنينا نهايته، لذا، لم يعد الموت شرطاً كافياً لتحقق الذات التي تتغياها جنيالوجيا نيتشه، ولا أدل على ذلك أنه بمجرد ما تم الإعلان عن حادثة «موت الإله»، حتى شرع كل من الساحر الارتكاسي، الكاهن العاطل، أقبح الناس، المتسول طوعاً والظل إلى تقديس «الحمار» والركوع له.

في هذا المقام، نشير إلى أن فريدريك نيتشه استعمل هذه الرموز الاستعارية للإشارة إلى البحث المستمر على التبرير المتعالي للوجود، فالإنسان ألف منذ القدم هذا الثقل الخبيث واستعذبه، ولم يتحمل الإقبال على الحياة من دونه، فعندما تراءت له صورة الأرض فارغة من العزاء الميتافيزيقي شعر بالفزع الكبير، وسار يحتمي بمركز جديد يضفي عليه الأمن والإحساس بدفء الانتماء إلى قطيع يتساوى أمام متعالٍ جديد، والذي يرمز إليه صاحب الجنيالوجيا بـ«الحمار».

إن «الحمار» الذي يتحدث عنه فريدريك نيتشه يشير إلى حيوان مسيح، إنه قوة ارتكاسية تحمل ذاتها بذاتها لتعبر عن نواتج العدمية السلبية، والتي تظن أنها تقول «نعم» في كل مرة تقول «لا»: إن إثبات «الحمار» هو إثباتٌ زائف، فـ«نعم» المتعلقة بـ«الحمار» لا تعبر عن الخلق والإبداع، بل تتعارض معه، وتعكس الأحمال المضنية؛ لأن «الحمار» يستمر في حمل الأثقال إلى حين هلاكه، لنقل إذن، يجبر «الحمار» ذاته على تحمل ثقل القيم المتعالية الارتكاسية بعد فاجعة «موت الإله»، كما يحمل ثقل القيم الإنسانية ليصير «إلهاً» أكثر ارتكاسية من الإله الذي وصلنا نبأ موته.

يبدو لنا، إذن، أن الثقل، مدار النقد الجنيالوجي، يشير إلى فكرة «الواجب» التي تحملها الذات تحت مسميات: العقل الدوغمائي، الأخلاق القطيعية واللاهوت الارتكاسي، وفي جميع الحالات ينبني على قيم متعالية نابعة من أنظمة مستبدة تميل إلى تسطير الوصايا المكتملة التي تستبطنها الذات الطيعة في خنوع تام دون أية محاولة للتمرد، وهي بالأساس قوانين تمنع الإنسان من الاستمتاع بذاته المرحة، وتنظر إلى هذه المتعة بوصفها جريمة شنعاء ضد الإنسانية.

المحصلة: إن مسألة «موت الإله»، في المعجم النيتشوي، دالة على أفول العالم المتعالي، وكنس جميع القيم المنبعثة من خارج الشرطية الإنسانية، والتي تجد جذورها في الأفلاطونية: موت تداعيات الأفلاطونية، ومحو نواتجها الميتافيزيقية التي أرست صورة متكلسة للذات الإنسانية.

لنا كلمـــة

أ.سعاد العبيدي
صحفية عراقية

كلمات مغتربة

لما اعتلى الحقد قلوبنا، وأسدل البغض ستائره على أيامنا، لما نهتف بأوراق جنسياتنا، ونتقاذف الحجارة معيرين تأريخ زماننا.. ألسنا تحت لواء الإسلام نستظل، ألسنا لدين الحق ننتمي، عشت في بلادي غريبة، فأنا لا أعرف عن وطني سوى دمار هنا وهلاك هناك، طفل جريح هنا وقتيل هناك، شاب ذبح هنا ومنزل دمر هناك، هذا وطني وهذه قصته.

وأقلام التأريخ تكتب، وأراق الصفحات تقلب، وما زلنا عن ملفات السلام نبحث.. فلتتحد كلمتنا وتقوى شوكتنا، ونزيل حواجز القبلية والجهل، وباتجاه الإسلام والعروبة نرتقي، يكفينا لكلمات التفرقة ننشد، ولأسوار الماضي نجدد، يكفينا لأصوات الحق نفسد، ولكلمات الحق نوئد.. فلنلغي من أين أنا ومن أين أنت، نحن لأرض الإسلام نرجع، وللعروبة نجتمع، فتقاسم معي رغيف الخبز وخير شجر النخيل.. أهذه هي أوراق قلمي، أهذه هي صور أحلامي، أهذه هي نظريات عقلي، أهذه هي كلمات شفاهي.. أن لعباراتي أيام قادمة وتواريخ مشرقة.

بين فقه الأولويات وغياب الرقابة:

التونسي في مواجهة بورصة الأضاحي وحيدا

أ.رجاء السنوسي
صحفية من تونس

مع اقتراب عيد الأضحى، يتحول الحديث في الشارع التونسي، من المقاهي إلى وسائل النقل والأسواق الأسبوعية، نحو هاجس واحد: «بكم وصل سعر العلوش هذا العام؟». هذا السؤال يحمل في طياته غصة طبقة اجتماعية كاملة دُحرت تدريجياً نحو مربع الهشاشة المالية. لم يعد العيد مجرد شعيرة دينية أو مناسبة للفرح، بل تحول إلى اختبار سنوي قاسٍ يُعري واقعاً اقتصادياً مأزوماً، يجد فيه المواطن نفسه وحيداً في مواجهة الأسعار الملتهبة، محاولاً الحفاظ على الحد الأدنى من الاستقرار المالي لعائلته.

والملفت للانتباه في مشهد هذا العام، ليس فقط الارتفاع القياسي في الأسعار الذي يعرض في «الرحبة» ويتجاوز كل التوقعات، بل هو الغياب الواضح للدولة كمرجع أساسي وحكم لتعديل أوتار السوق. فالشارع يتساءل بمرارة عن غياب السياسات الاستشرافية لوزارة الفلاحة، التي تركت منظومة الأعلاف نهباً للاحتكار، وعجزت عن حماية صغار المربين من الإفلاس بعد توالي سنوات الجفاف، مما دفع كلفة الإنتاج إلى مستويات غير مسبوقة.

وفي المقابل، يسجل التونسيون غياباً للدور التوعوي لوزارة الشؤون الدينية؛ إذ كان من المفترض أن تقود خطاباً واقعياً يلامس مقاصد الشريعة، ويرسخ فقه الأولويات عبر التأكيد على أن الأضحية سنة للمستطيع، ولا يجوز أن تتحول إلى سبب للاستدانة وإثقال كاهل العائلات بالديون.

هذا الفراغ الرقابي والتوعوي أنتج مربعاً معقداً تداخلت فيه المسؤوليات في حلقة مفرغة. في بداية السلسلة نجد الفلاح، وهو ضحية مباشرة لكلفة الرعاية الباهظة وغلاء الأعلاف المركبة، مما يضطره للبيع بأسعار مرتفعة لتغطية مصاريفه وتجنب الخسارة الكلية. وفي المنتصف، يبرز «القشار» أو الوسيط، المستفيد الأكبر والمحرك الخفي للاشتعال؛ فهو يستغل حاجة المربي الصغير ليشتري منه بأبخس الأثمان، ثم يحتكر القطيع ليعيد ضخه في الأسواق بأسعار مضاعفة مستغلاً ذروة الطلب. وعلى ضفة المستهلك، يظهر الشرخ الاجتماعي بوضوح؛ حيث توجد فئة قادرة وميسورة تشتري دون مبالاة بالثمن، مما يساهم بشكل غير مباشر في تثبيت الأسعار المشطة وتبريرها لدى السماسرة، بينما تقف الأغلبية الساحقة من الطبقة المتوسطة والفقيرة عاجزة تماماً أمام هذه الأرقام الفلكية.

أمام هذا الحصار المالي، لم يجد التونسي بداً من ابتكار آليات بديلة للتأقلم مع الواقع الساخن. بعض العائلات اختارت التمسك بالعادة مهما كان الثمن، حتى لو عبر الاقتراض البنكي أو الانخراط في «جمعيات» مالية مرهقة، تجنباً للشعور بالحرمان أو الحرج الاجتماعي أمام المحيطين بها. وفي المقابل، فرضت أزمة القدرة الشرائية حلولاً كانت إلى وقت قريب غريبة عن المجتمع، مثل تشارك عدة أشقاء في أضحية واحدة، أو الاكتفاء صمتًا بشراء بضعة كيلوغرامات من اللحم من عند القصاب يوم العيد. أما الفئة الأشد تضرراً، فقد اختارت المقاطعة الصامتة، معتبرة أن سداد مصاريف الكراء، وفواتير الكهرباء والماء، والالتزامات الحياتية الأساسية أولى بكثير من مجاراة ظروف تفوق طاقتها المادية

عمليًا، إن ما يحدث اليوم في أسواق الماشية ليس مجرد موجة غلاء موسمية تنتهي بانتهاء أيام العيد، بل هو مؤشر خطير يعكس تحديات أعمق داخل منظومة الإنتاج الحيواني ككل. وإذا لم يتدخل أصحاب القرار بشكل عاجل لتقديم دعم حقيقي ومباشر للمربين، وتأهيل المراعي الطبيعية، وتسهيل الحصول على التمويلات والقروض الفلاحية الميسرة، فإن هذا الضغط سيبقى متواصلاً ومستداماً على السوق وعلى جيوب المواطنين. ودون سياسة واضحة تعيد للأسواق توازنها وتلجم سماسرة الأزمات، ستبقى فرحة العيد مجرد عبء ثقيل يهدد التماسك الاجتماعي في بيئة يغرق تفاصيلها التضخم يوماً بعد يوم.

المرأة العربية والتكنولوجيا:
رحلة بين الحرية والتحدي في العالم الرقمي

في عالمنا اليوم، أصبحت الهواتف الذكية والشاشات امتداداً لأنفسنا، نواصل من خلالها علاقاتنا، ونبني أحلامنا، ونواجه تحدياتنا، وفي قلب هذا التحول الرقمي، تقف المرأة العربية في موقع فريد: تحمل في يدها تاريخاً من التقاليد الغنيةً، وفي الأخرى تمسك بمفاتيح المستقبل الرقمي، هذه ليست مجرد قصة تكنولوجيا، بل قصة هوية وصراع وتمكين.

الفرص: عندما تفتح النوافذ الرقمية أبواباً كانت موصدة

لطالما شكلت الجغرافيا والعادات الاجتماعية حواجز أمام طموحات كثيرة للمرأة العربية، لكن اليوم، بضغطة زر، تستطيع شابة في قرية نائية أن تتعلم لغة برمجة من محاضرات عالمية، أو تبيع منتجاتها اليدوية لزبائن في قارة أخرى، أو تحصل على استشارة طبية من أخصائيين دون حرج.

لقد رأيتُ بنفسي كيف تحولت هوايات كانت تُعتبر «تسلية نسائية» إلى مشاريع ناجحة، المرأة التي كانت تتقن صناعة الحلويات أو التطريز أصبحت اليوم رائدة أعمال رقميّة، تدير متجرا إلكترونياً، وتستخدم أدوات تحليل بيانات بسيطة لفهم عملائها، وتتواصل مع مورّدين عبر منصات عالمية، التكنولوجيا لم توفر لها دخلاً فحسب، بل قدّرت إبداعها ومنحتها قيمة في السوق.

التحديات: الجدران غير المرئية في العالم الافتراضي

لكن الرحلة ليست مُعلّبة بالورود، فالعالم الرقمي، رغم افتراضيّته، يحمل في طيّاته تحيّزات العالم الحقيقي، قد تواجه المرأة العربية على الإنترنت ما تواجهه في الشارع: تنميطاً، وتحيزاً جندرياً، وأحياناً تحرشاً وتهديداً، بل وقد تكون الخطر هنا أكبر؛ لأن الإنترنت يترك أثراً دائماً.

كما أن هناك تحدياً آخر أكثر خفاءً: وهو الشعور بالازدواجية، فكثيرات يعشن حياةً مزدوجة: شخصية افتراضية حرة، متحررة، جريئة في التعبير عن آرائها، وأخرى واقعية تلتزم بتوقعات المجتمع، هذا الانقسام قد يخلق ضغطاً نفسياً هائلاً، ويطرح سؤالاً عميقاً: أيُّ الشخصيتين هي الحقيقية؟ وأيهما نريد أن نكون؟

الذكاء الاصطناعي: السيد الجديد... هل هو محايد؟

يدخل الذكاء الاصطناعي الآن كطرف جديد في هذه المعادلة. من ناحية، يعد بحلول سحرية: مساعدات رقمية تدير الجدول المزدحم للأم العاملة، وتطبيقات صحية تراقب الحمل، وأدوات تعليمية تتكيّف مع سرعة تعلّم المرأة، لكن من ناحية أخرى، تخبرنا الأبحاث أن الخوارزميات تتعلّم من بياناتنا المتحيزة أصلًا، إذا كان معظم المبرمجين في العالم رجالًا، وإذا كانت البيانات المستخدمة لتدريب هذه الأنظمة تعكس صورة نمطية عن المرأة، فكيف سنضمن أن الذكاء الاصطناعي لن يصبح أداةً جديدة لإعادة إنتاج التمييز القديم؟

الخطر الحقيقي ليس في أن الآلات ستحل محلنا، بل في أننا سنُدرّبها على رؤيتنا من خلال عدسة مشوّهة.

الطريق إلى الأمام: نحو مواطنة رقمية واعية

إذا أردنا أن تكون الثورة التكنولوجية نعمة حقيقية للمرأة العربية، وليس عبئاً جديداً، فلا بد من خطوات واعية:

-1 التملك الرقمي: يجب أن ننتقل من كوننا مستهلكات للتكنولوجيا إلى مشاركات في صناعتها، تعلم البرمجة وفهم لغة البيانات لم يعد ترفاً، بل أصبح ضرورةً للمواطنة الفاعلة في القرن الحادي والعشرين.

-2 البناء الجماعي: القوة تكمن في المجتمع، إنشاء شبكات دعم نسائية رقمية، حيث تتبادل الخبرات وتدعم بعضها في مواجهة التحديات المشتركة، يمكن أن يحوّل التجربة الفردية الهشة إلى حركة جماعية قوية.

-3 التوعية النقدية: نحتاج إلى تربية أنفسنا وأبنائنا على «محو الأمية الرقمية النقدية»، أن نتعلم كيف نقرأ الخوارزميات كما نقرأ النصوص، وكيف نطرح السؤال: من يستفيد من هذا المحتوى؟ ولماذا يظهر لي هذا الإعلان بالذات؟

-4 صناعة السردية: الميزة الأكبر التي تمنحنا إياها المنصات الرقمية هي القدرة على رواية قصتنا بأنفسنا، بدلًا من أن نكون موضوعاً يتحدث عنه الآخرون، يمكننا اليوم أن نكون الراويات الرئيسيات لتجاربنا، بتعقيدها وجمالها وتحدياتها.

ختاماً: لا تكن التكنولوجيا مصيراً، بل أداة

في النهاية، التكنولوجيا ليست قدراً محتوماً يأتي من السماء، إنها مرآة تعكس قيم من يصنعها، وأداةً في يد من يستخدمها، السؤال المطروح على المرأة العربية اليوم ليس فقط «ماذا يمكن أن تقدم لي التكنولوجيا؟»، بل الأهم: «ماذا أريد أن أصنع أنا بها؟».

الفرصة التاريخية أمامنا هي استخدام هذه الأدوية الجبارة ليس للهروب من واقعنا، بل لإعادة تشكيله؛ لبناء جسور بين التراث والابتكار، بين الهوية الشخصية والانتماء العالمي، بين الدور التقليدي والطموح غير المحدود.

عالم الغد الرقمي يُصنع اليوم، وسيكون لمن يشارك في صياغة أسئلته وبرمجة خوارزمياته.

أ.أمال عزاز
صحفية من الجزائر

واشنطن شهر سبتمبر 1982

أ. حميدة نعنع
كاتبة و صحفية عربية

انتهى مؤتمر القمة العربي في مدينة فاس المغربية، وشكل وفدا من الجامعة العربية برئاسة الملك الحسن وعضوية وزراء خارجية سبع دول عربية للقاء مع الرئيس ريغن وتقديم مبادرة السلام التي انبثقت عن القمة. وسافرت الى واشنطن للتغطية الإعلامية.

ها نحن في حديقة البيت الأبيض في القسم المخصص للصحافة. كان الملك الحسن والوفد من وزراء الخارجية العرب يقيمون في دار الضيافة التابعة للبيت الأبيض حيث لا يفصل بين المقرين إلا شارع واحد يقطع مشيا على الأقدام. كنت قد حضرت في السابعة والنصف صباحا لآخذ مكانا قريبا من قاعة الاجتماع. مرت عشرة دقائق على الموعد ولم يظهر الملك الحسن، تذكرت انني في مؤتمرات متعددة للملك الحسن كنت أغطيها كان الملك من عادته ان يتأخر عن الموعد المحدد، وقد فعل ذلك مرة مع ملكة بريطانيا، ومع الرئيس الفرنسي. كان تأخره عن الموعد يقابل بعدم ارتياح من قبل مضيفيه والصحافيين. اصبحت الساعة الثامنة والنصف ولم يظهر الملك الحسن وريغان ينتظره واسئلة الصحافيين تنهمر على الرئيس الاميركي الذي بدأ محرجا من تأخر ضيفه. بعد ان تعدت الساعة التاسعة إلا ثلث ظهر الملك الحسن والوفد المرافق له من وزراء خارجية سبع دول عربية، كان الملك هادئاً وكأنه لم يتجاوز الموعد ويخرق البرتكول، اقبل ريغن عليه وتصافحا واصطحبه مع الوفد إلى داخل قاعة الاجتماعات.

انتظرنا ساعة ونصف ان ينتهي اجتماع ريغن مع الملك الحسن. توجه الملك بالحديث الينا ليبلغنا ان الولايات المتحدة ما تزال تدرس المبادرة العربية، لكنه يعتقد: ان على كل دولة عربية ان تعقد صلحا منفردا مع إسرائيل. استغربت شخصيا هذا الرأى، إذا لماذا القمة العربية؟ ولماذا الوفد المؤلف من سبعة وزراء خارجية عرب؟ ولماذا لقاء القمة بين ريغن والملك الحسن؟

رفعت يدي طالبة الكلام بعد ان انتهى الملك من كلامه، كان على كل صحفي يطلب الكلام ان يعرف بنفسه وبصحيفته، عرفت عن نفسي وعندما ذكرت اسم صحيفة (السفير التي اعمل بها) همس سكرتير الملك بإذنه شارحا: انها صحيفة القذافي. كان مجرد ذكر اسم العقيد المشاغب كافيا لاثارة الملك، طرحت سؤالي: إذا كان رأيك ان تعقد كل دولة عربية صلحا منفردا مع إسرائيل فلماذا كانت المبادرة العربية المشتركة؟ وهل أبلغت ريغن رأيك ام رأي الوفد الذي يرافقك باسم مبادرة القمة؟

غضب الملك من سؤالي وتجاوز عن الجواب، أطلق الصحافيون الاميركيون اصواتاً غاضبة يطلبون منه ان يجيبني على سؤالي، لكنني فوجئت بالسيد المستشار احمد بن سودة يقترب مني بلطف ويطلب إلي ان اترك القاعة لأنني أحرجت الملك بسؤالي، مرت دقائق وانا مصرة على عدم ترك القاعة قبل ان اسمع الجواب. أدرك الصحافيون الموقف فاخذوا يطلقون صفيرا مطالبين بالإجابة، لكن الملك كان لا يريد الإجابة بل طلب الي ان أغادر القاعة مما زاد إلحاح الصحافيين اصرارا على عدم خروجي.

سنين مرت بعد هذا المؤتمر . حضرت كل القمم العربية التي عقدت بعد ذلك لاجل ايجاد حل للقضية الفلسطينية، انتهت الاحداث بي امام المرحوم عرفات الذي رافقته في حياتي طويلا منذ بداية الثورة الفلسطينية حتى منفاه في تونس، ظل سؤالي دون جواب وانا أودع الوفد الفلسطيني إلى أوسلو ليفاوض بمفرده إسرائيل على مصير غزة والضفة، كان دائما رأي ابو مازن دائما هو: خذ وطالب، وما زال حتى بعد خراب غزة، واحتلال اسرائيل نصف الضفة الغربية، ما زال رئيس الدولة الفلسطينية في مكتبه بمدينة رام الله اسير القرار الإسرائيلي لا يأخذ ولا يطالب. رحم الله عرفات الذي رحل عنا وما زال يحلم بدولة فلسطينية

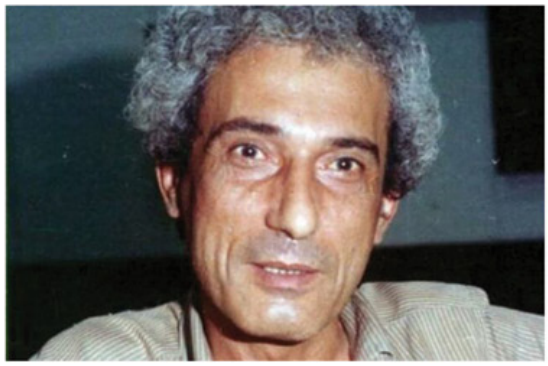

ناجي العلي.. الغائب الحاضر

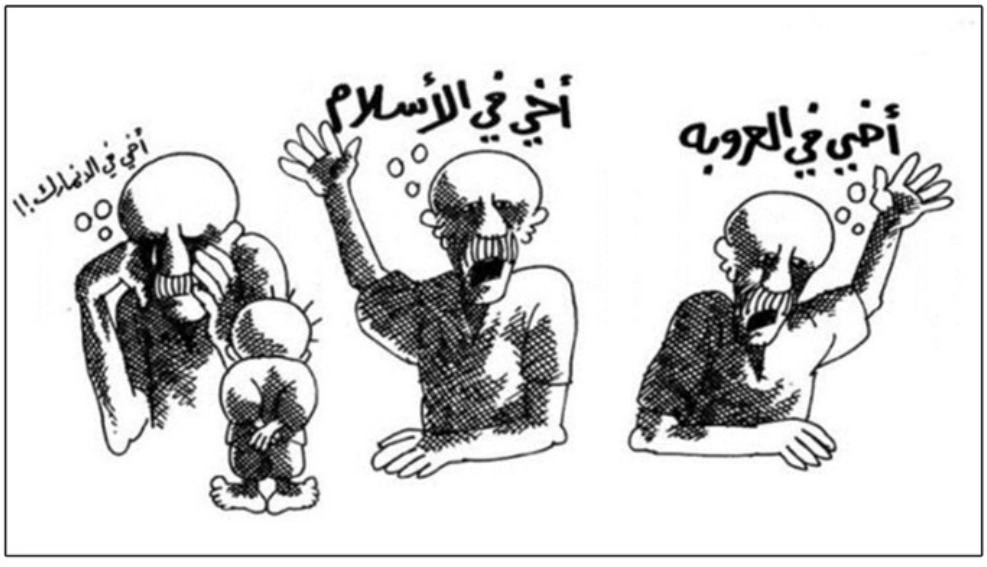

دار كل العرب للطباعة والنشر
KOUL AL-ARAB

الملتقى الدولي للكتاب العربي في فرنسا

Forum International du Livre arabe en France

النسخة الثالثة 2026

اللقاء في باريس شهر تشرين الاول - اكتوبر المقبل

Forum en Octobre à Paris

احدث الاصدارات العربية من الكتب الفكرية والادبية
والروائية والتعليمية ودواوين الشعر

بالتعاون مع كبرى دور النشر والمكتبات العربية

لقاءات مع الكتاب
والأدباء والشعراء
وتوقيع كتبهم

قراءات شعرية
أمسيات موسيقية
أجواء تراثية عربية

اتحاد الصحفيين والكتاب العرب في اوروبا

مشاركة مركز ذرا للابحاث والدراسات العليا

ندوات وأبحاث حول اللغة العربية ومساهمة دور النشر في نشرها
يشارك بها كتاب وشعراء ومدراء دور النشر

للمزيد من المعلومات المراسلة على الايميل

koulalarab.paris@gmail.com